

الْعَمَلَيَّةُ

نَهْدِيَاتٍ
الشَّهَدَاءِ نِرَاسٍ
لِتَفْوِيقِ الْأَبْنَاءِ

اللغة .. ذاكرة الأمة وحضن الهوية
بيت الكويت في القاهرة
والدور الثقافي المنسى
الأسواق الإسلامية طريقة حياة
مبدعون صغار يسكنهم الوطن
السينما وتزاع الهوية



٢٨

بيت الكويت في القاهرة
والدور الثقافي المنسي



٦

تضحيات الشهداء
نبراس لتفوق البناء

الـ٩٨

الفريسة السابعة والأربعون تصدر
عن الديوانالأميري-مكتب الشهيد
دولة الكويت - نوفمبر - ديسمبر 2006 م

٤

بصمات

١٢

السور الرابع

١٨

من رموز الحضارة

٤٦

من رموز الحضارة

٥٤

من رموز الحضارة





صورة الغلاف

تضحيات الشهداء

نبراس لتفوق الابناء

المشرف العام
د. حاسم يوسف الكندي

رئيس التحرير
تركي أحمد الانبعي

مدیرة التحرير
نايزدة مانع المانع

مدیرة التحرير
نایزة مانع المانع

سكرتير التحرير
باسمة بودي

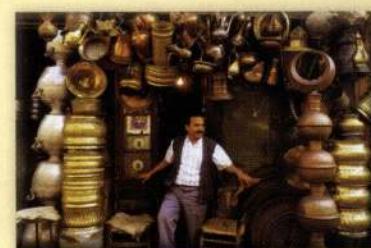
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

17

17

2

AL HUMAIZ
PRINTING PRESS



三八

السوق الإسلامية طريقة حياة

الهوية في سطور

مجلة دورية تعنى بتأصيل الهوية الوطنية
مرتكزة على قضية الشهادة والشهداء لأنها
لُبّ الانتماء ومادة الهوية.

إن الهوية كمجلة تتسع باتساع مفهومها
لتشمل كل القضايا الوطنية والخليجية
والعربية فكراً واجتماعاً، وتاريخاً.
وتراثاً.

إننا نرى الهوية (المجلة) مشروعًا طموحًا
ومتطورًا يتعلّق بالمستقبل أكثر مما يتعلّق
بالماضي، فهو يتّسّع في النهاية هي ما يميّزنا
ويحفظ وجودنا في زمن التشابه والذوبان.

الراسلات باسم رئيس التحرير - مكتب الشهيد - اليرموك - ص.ب.: 28171 - الصفا 13158 - دولة الكويت

ب Gedata: 888101 - داخلي: 270 - مباشر: 5346745 - فاكس: 5341658

بِقَلْمِ فَايزة مانع المانع

fayzaalmane@yahoo.com

المناجي

حرب تقدم التلفزيون بكل جرأة وقوة ليصبح المؤسسة التربوية والعلمية الجديدة وليحل محل الأسرة والمدرسة على حد تعبير د. عبدالإله بلقرizi، حرب تتسيد فيها الصورة المشهد الثقافي والإعلامي لتمطر السماء صوراً من كل لون وصنف كما يشير د. المنجي الزيدي بما يشكل وعي الشباب ويستحوذ على تفكيرهم في تسطيح مخيف لا يخلو من خداع في بعض الأحيان، حرب بمظهر عولمة ثقافية كاسحة تسعى لتنميط العالم وتثبت ملامحها في كل مكان تصل إليه ذراعها في الرموز والأفكار، في الأزياء والموسيقا والطعام، في الفن والأدب والعلم، ولا تتورع في مدّ ذراعها حتى إلى الأديان والمعتقدات وأساليب التربية والتعليم، معتمدة أسلوب الإقصاء الناعم المراوغ أو أسلوب الإزاحة الهدىء الخبيث.

إذا كانت الحرب تبدأ من عقول البشر كما ورد في ديباجة إعلان منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو)، فإن ما تعشه مجتمعاتنا اليوم هو حرب بمعنى من المعاني وتحد حقيقي بشكل من الأشكال، حرب تقودها أذرع الحتمية التكنولوجية الإعلامية الفائقة القدرة، وهي الحواسيب والأقمار الصناعية والفضائيات والهواتف المحمولة.

وكيف لا تكون حرباً وأسلحتها
تفوق الصواريخ والقنابل
في أثرها وتأثيرها،

الـ ٦

إن مقوله نهاية التاريخ،
ونهاية الجغرافيا، ونهاية
الأيدلوجيا لا تعني نهاية
الحقائق أو تلاشي الواقع،
والحقيقة الثابتة التي لا تغيب هي
أتنا أمة لها أصالتها العربية ذات
الجوهر الإسلامي، وهي حقيقة يجب
الاشتهرى أو تمسى بل يجب التأكيد عليها
والانطلاق منها؛ فالحديث عن تناقض بين
هذه الحقائق الأصلية في حياتنا وبين ما يحدث
في العالم فهو الخطيئة الكبرى التي تُرتكب في حق
مجتمعاتنا؛ فمن لا يمتلك قاعدة للأصالة لا يمتلك
قاعدة للانطلاق.

إن طرح مخاوف من هذا النوع ليس نكوصاً أو ضعفاً
بقدر ما هو محاولة لفهم وضع عالمي قائم يستميت
في محاولاته لاحتواء العالم وإلباسه لباسه هيمنته
ونفوذه لاستمرار تسامي مصالحه ومكتسباته
وتفوقه، مما يستدعي القلق على الخصوصيات
والثقافات الوطنية وضرورة التنبه لصيانتها، وعدم
الغفلة عن حمايتها.

إتنا مطالبون اليوم باليقظة والتمسك «بالرواسي»
— على حد تعبير محمد حسنين هيكل — التي لا
يمكن التخلى عنها أو الإفلات منها مهما كان حجم
التواصل العالمي ودرجة الانفتاح وانهيار المسافات،
وازدياد حدة البريق الاستهلاكي العالمي وشدة
جاذبيته.



سموه أضاء القلوب

تركي الأنبعي وعدد كبير من أولياء الأمور ورجال الإعلام المتوفقي عام ٢٠٠٥/٢٠٠٦، وقال د.الكندري للمتفوقيين: هنيئاً للكويت بكم فأنتم ومن سعى سعيمكم الأمل والرجاء لكويت أكثر ازدهاراً واشراقةً وتقديماً، وأنتم تعلمون أننا نعيش في خضم عالم يتسم بتغيرات متتسارعة فرضتها معطيات الثورة العلمية والتكنولوجية والمعلوماتية التي استثمرها الإنسان في الولوج إلى مجاهل الحياة والانطلاق إلى آفاقها الرحبة وتتابع الدكتور الكندري: إن الثورة العلمية فرضت واقعاً يتمثل في الأمة القوية وهي الأمة المتعلمة وإن العلم هو معيار التقدم والرقي والتكيف مع معطيات الحياة وبدون هذا السلاح لا يمكن لأي أمة أن تضمن السيادة والرخاء والعيش الكريم.

ودعا الدكتور المكرمين إلى أن ينهلوا مما يتيسر لهم من العلم والمعرفة مؤمنين بالله أولاً ومقتندين بآياتهم الذين قدموه أنفسهم قداء لتراث الوطن

العلمية والعملية، مشيراً إلى أن التضحيات الخالدة التي قدمها آباءهم يجب أن تكون نبراساً لهم لبذل الغالي والنفيس من أجل رفعة وطنهم، وقد قدموا لسموه هدية تذكارية بهذه المناسبة.

حضر حفل التكريم كبار المسؤولين في الديوان الأميري، ومكتب الشهيد.

وهنا رئيس مجلس الأمناء بمكتب الشهيد د.جاسم الكندري -أمهات ورجال الغد المشرق الأبناء المتفوقيين والمتفوقات من مختلف المراحل الدراسية، الذين أخلصوا في طلب العلم واجتهدوا بتحصيله وصبروا على عنائه ومشاقه، فكان نصيبهم من العلم التفوق والتميز ومن مكتب الشهيد التقدير والاستحسان، جاء ذلك في كلمة له خلال حفل التكريم السنوي للتميزين من أبناء وبنات الشهداء، الذي أقامه مكتب الشهيد بحضور مدير عام مكتب الشهيد

سطر الآباء ملحمة الوطن، إبان الغزو والتحرير، وكذلك الأبناء يسطرون تقدماً في مختلف المراحل الدراسية - ابتدائية ومتعددة، ثانوية وجامعية في مختلف الكليات الأكاديمية منها والعسكرية والمعاهد التطبيقية المتعددة في الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب.

وقد دأب مكتب الشهيد على الاحتفال سنوياً بتكرييم كوكبة جديدة من المتفوقيين والمتقدمات من أبناء وبنات الشهداء، حيث يشرفون بلقاء سمو الوالد البار أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، وقد كان لقاء الوالد البار مع أبنائه المتفوقيين في حفل أقيم في قصر بيان تحت رعاية وحضور سموه وحضره سمو ولی العهد الشيخ نواف الأحمد، حيث تم لقاء الأبناء المتفوقيين بنين وبنات.

تحت شعار:

«تضحيات الشهداء نبراس هاد لتلتفق أبنائهم»

وقد أشاد سموه بأبنائه الطلبة الحاصلين على تقدير امتياز للعام الدراسي ٢٠٠٥/٢٠٠٦ وما بذلوه من جهد، متمنياً لهم التوفيق والنجاح في حياتهم

**الأمير مكرماً ١٧٤ من المتفوقيين أبناء الأسرى والشهداء:
تضحيات الشهداء نبراس هاد لتلتفق أبنائهم**



سمو الأمير بين أبنائه المتفوقين من ذوي الأسرى والشهداء



سمو الأمير بين أبنائه المتفوقين من ذوي الأسرى والشهداء

والعقل بشرف لقائه



ومصافحة أحد المتفوقين

وصون كرامته فتركوا بصمة واضحة في أمتهم، هذه البصمة تكمن في العطاء العلمي والتفوق المعرفي الذي بدوره يشكل ركيزة أساسية يستند إليها الوطن في قدمه وتطوره.

وفي ختام كلمته أعرب د.الكندري عن الشكر والامتنان لوزير شؤون الديوانالأميري الشيخ ناصر صباح الأحمد الصباح لدعمه المستمر وتوجيهاته من أجل تلبية احتياجات هذه الأسر الكريمة.

بعد ذلك كانت كلمة أرملة الشهيد محمد الرميضين، حيث قالت: إن الدور الفاعل الذي عودنا مكتب الشهيد لا يترك مناسبة أو فرصة لتكريم ذوي الشهداء وأبنائهم إلا وتبناها، وذلك تنفيذاً لرغبة سامية شخصية من سمو الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح - طيب الله ثراه - الذي تفضل بإنشاء مكتب الشهيد فور تحرير البلاد في سبيل الله... ولرعاية أبناء الشهداء وذويهم، وتكريماً للشهداء الأبرار الذين تصدوا لقوى الاحتلال بكل جرأة وإقدام منذ اليوم الأول من أيام الغزو الغاشم وقدموا أرواحهم في سبيل رفع هذا الوطن دفاعاً



صباح الأحمد الجابر الصباح - حفظه الله ورعاه - كما نعرب عن الإكبار والامتنان والتقدير للإنسان صاحب القلب الكبير سمو الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح - طيب الله ثراه - والذي أمر بإنشاء هذا الصرح الحضاري الحاضن لكافة الفئات من أبناء الشهداء وذويهم وتوفير سبل العيش الكريم لهم كما نعرب عن الشكر والتقدير لمكتب الشهيد الذي اضطلع منذ نشأته قبل أكثر من خمسة عشر عاماً بالمهام التي أوكلت إليه، فقدم خير نموذج إنساني للاهتمام بأسر الشهداء ورعايتهم الاجتماعية والنفسية والترويجية فكانت الثمرة هي النجاح والتتفوق، فشكراً للله على ما تحقق من نتائج وشكراً لكل من أسهم فيها.

وأضافت الجمعة: إننا نتشرف بمعاهدة سمو أمير البلاد - حفظه الله - بأن نعمل جادين مخلصين لنواصل مسيرة التقدم والتتفوق، وأن تكون كما كان آباءنا جنوداً في الذود عن أرض الكويت، مدافعين عن كرامتها، شعارنا الولاء والإخلاص، وأن تكون مواطنين مخلصين فاعلين في كل مجال من مجالات العلم، نبني صرح الوطن ونعلي كيانه، ونواكب التقدم العلمي، ونسهم في جعل وطننا الكويت في

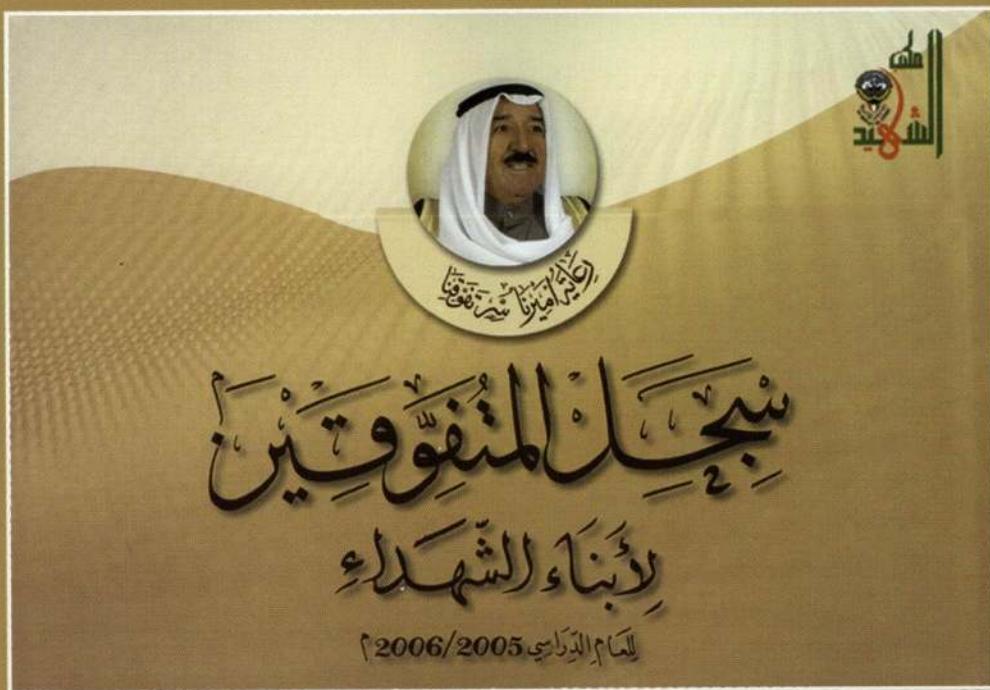
الدراسي.. فحمدأً لله على نعمه وفضله. ووافر الشكر وجزيل التقدير لسمو القائد الوالد، سمو أمير البلاد - حفظه الله - الذي وفر لنا كل الرعاية الأبوية وذلل كل الصعاب أمامنا، فكانت الراحة النفسية والهداة المعيشية وكان حصاد ذلك كله التفوق الدراسي، وإننا نتشرف بإهداء هذا التفوق لقامة حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ

عن كرامته وعزته ورووا بدمائهم ترابه الطاهر والهدف من هذا تكريم مفاهيم عظيمة كمفاهيم الشهادة ومفاهيم العلم والتضحية والإخلاص، وتعزيزاً لمسيرة القادر من الأجيال الذين سيحملون على عاتقهم - إن شاء الله - مهمة المضي قدماً لاستكمال مسيرة بناء وطنهم الكويت... والدفاع عن الأرض والعرض. وأكدت الشكر والامتنان لمن يقفون خلف هذا الصرح في الديوان الأميركي، معاهدين سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح - حفظه الله - بأن نواصل مسيرة التعاون، والقيام بواجبنا في رعاية أبناء شهداء الكويت، وتبثيت أقدامهم على طريق التفوق؛ ليكونوا كما كان آباءهم جنوداً في خدمة الكويت مدافعين عن عزتها وكرامتها متمسكين بأرضها ول يكنوا عناصر فاعلة تعلي صرح الكويت في كل مجال من مجالات العلم، وإذا كان تحりر الوطن ببصمة شهدائنا فإن تفوق أبنائهم هو بصمتهم للوطن.

وألفت الطالبة المتفوقة طيبة حسين جمعة كلمة وفاء وأمتنان وشكر وعرفان ودعاء، نيابة عن المتفوقين والمتفوقات فقالت: بفضل من الله العلي القدير.. وبعون منه و توفيقه جل شأنه استطعنا تحقيق التفوق



د. جاسم الكندري
رئيس مجلس الامناء
في مكتب الشهيد



سجل المتفوقين



بصمة الابناء في سجل الوطن

د. جاسم الكندري: التفوق المعرفي ركيزة أساسية يستند إليها الوطن في تقدمه وتطوره

أرملة الشهيد محمد الرميسين: مكتب الشهيد حريرص على تكرييم ذوي الشهداء في كل المناسبات



لقاء سموه وسام شرف يدفع ابنائنا للتفوق

مصف الدول المتقدمة ونحافظ على أرضه، ونرد كل غادر لنظل الكويت وطن العزة والنمو، وطن الحرية والعطاء، وطن الإيمان والوفاء وطن المحبة والكبرىاء.

ومن جانبها أكدت نائبة المدير العام بمكتب الشهيد فاطمة الأمير أن يوم لقاء الأبناء المتفوقين بالأب البار، هو من الأيام التي يفرح فيها مكتب الشهيد بأبناء الشهداء المتفوقين دراسياً ولقاوهم مع سمو أمير البلاد تشريف لهم مؤكدة أن هذه الزيارات لا يحظى بها إلا المتفوقون من الأبناء سواء في الثانوية العامة أو الجامعة ولكن أبناء الشهداء لهم نظرة خاصة.

وقد التقت «مجلة الهوية» بمجموعة من الأبناء المتفوقين لتسجل انطباعاتهم عن هذه المناسبة الجليلة:

فأعربت أسماء ابنة الشهيد حمود العنزي عن سعادتها لمقابلة سمو أمير البلاد، مؤكدة أن هذه المقابلة أعطتنا دافعاً قوياً، لكي نستمر بهذا التفوق، وبهذا العطاء لكي ثبت أتنا أبناء أبطال قدموا أرواحهم فداء للوطن وهانحن نرفع رؤوسهم شهاداتنا التي حصلنا بها على التقدير اللائق



الشهيد وأن أكون من البنات المتفوقات والحاصلات على أعلى الدرجاتوها أنا سأكمل الدكتوراه، وهذه سأكمل الدكتوراه، وهذه تعتبر رغبة والدي وسأكملها، ولا ننسى سمو الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الصباح وعطاءاته تجاه الشهداء وأبنائهم.

من ناحيته أعرب يوسف الكندري، وهو متفوق في المرحلة الثانوية، عن رغبته في إتمام دراسته الجامعية وأكد أن رعاية صاحب السمو وتوجيهاته لهم والاهتمام بهم من قبل مكتب الشهيد ساعدت على زيادة تقويقه في الدراسة والتحصيل العلمي والحرص على التفوق في المراحل الدراسية، وأهدي تقويقه إلى أسرته وإلى صاحب السمو أمير البلاد.

ولفت أحمد الرقم إلى أن الالقاء بصاحب السمو أفضل تكريمه لهم، معتبراً اللقاء بادرة طيبة من قبل صاحب السمو تأتي لحثهم على التفوق الدراسي.

المتفوقة الطالبة مي المطوع قالت: إن فرحتي بهذه التفوق كبيرة، وسعادي كبيرة اليوم بمقابلة والدنا الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، مؤكدة أنها تسعى إلى أن تكون من المتفوقات دائماً لتحظى بشرف مقابلة سمو أمير البلاد.

ووصفت أمل فيصل سعادتها بهذه المقابلة أنها كانت وساماً تعلقه على صدرها، مضيفة: مقابلة سموه كانت دافعاً قوياً لنا لكي نستمر في النجاح والتفوق وكذلك أرفع رأسني باسم والدي الشهيد عاليًا.

بinder الفضل وهو أحد المتفوقين في الثانوية العامة من أبناء الشهداء قال: إن هذا التكريم هو حافز لتقديم الأفضل في المجال الدراسي، مشيراً إلى أن الالقاء بصاحب السمو يعتبر شرف كبير لهم وبادرة طيبة من قبل صاحب السمو تأتي لحثهم على التفوق الدراسي.

الطالبة طيبة حسين جمعة: نهدي تفوقنا إلى مقام حضرة صاحب السمو ونعاوه سموه على مواصلة التفوق

فاطمة الأمير: لقاء أبنائنا المتفوقين يوم للفرح والشرف

أما منيرة الرزوق فأكملت سعادتها قائلة: إن مقابلة سمو أمير البلاد كانت من أجمل اللقاءات التي مرت بحياتي ولا أنساها وهي تعتبر دعماً كبيراً لنا ولستقبلاً، ومن خلال هذا التفوق عرفنا أن من يحصل على الدرجات العليا يتشرف بمقابلة سموه، كما لا ننسى دور الأهل في المعاملة والمتابعة، وحثنا على الدراسة ومكتب الشهيد قائم في دوره على أكمل وجه.

ووصف ابن الشهيد أحمد الرفاعي شعوره بأنه لا يوصف، مضيفاً: لا أستطيع أن أصف لك فرحتي، وكانت أمني دائماً أن أكون من المتفوقين حتى أتشرف بمصاحفة سمو الأمير، وهذا التفوق ما أتى إلا بدعم من سموه لحثنا على النجاح والتفوق.

وبدورها أكدت أبرار أحمد عبدالله هادي أنها لا تستطيع وصف مشاعرها وشعورها أثناء مصاحفة سموه، قائلة: أنا أجتهد من أجل رفع اسم والدي سموه دافع لنا في التفوق لكي نتشرف مرة أخرى بمقابلته ولا ننسى أيضاً دور الأسرة.





تعتبر الرعاية التربوية هي جزء من رسالة المكتب التي تهدف إلى «رعاية ذوي الشهيد رعاية متميزة» ويتمثل هذا الاهتمام بلقاء سمو أمير البلاد - حفظه الله - بأبنائه المتفوقين كل عام، والذي له أثر إيجابي في بذل الجهد للوصول للتفوق.

إن إحدى ثمار الرعاية التربوية وجود عدد من المتفوقين في التحصيل الدراسي في جميع المراحل الدراسية، وقد بلغ عدد الأبناء الذين يتبعهم قسم الاتصال التربوي في مكتب الشهيد (٥٦٥) ابن وابنة في مختلف المحافظات السنت في أنحاء البلاد موزعين على مختلف المناطق التعليمية والتعليم الخاص والنوعي، إضافة إلى الأبناء الذين يتلقون تعليمهم خارج البلاد، حيث تم متابعتهم إدارياً من خلال الجهات المعنية. أما الأبناء الدارسون في كليات التعليم العالي (الجامعة والتعليم التطبيقي والدارسون في الخارج والجامعات الخاصة) فبلغ عددهم (٢٠٧)، كما بلغ عدد المدارس التي زارها الباحثون التربويون على مدار العام (١٩١) مدرسة للبنين والبنات، وبلغت الزيارات الميدانية المتعددة الأهداف (١٣٥١) زيارة تتبع بوضوح في الإحصائيات الموضحة حول «التفوق والمتفوقون في سجل خاص لأبناء الشهداء».

الشهيد إبراهيم اسماعيل الكندي

«نحن بخير وبلدنا سعيد»

شارك الشهيد في مجموعة العدان وجمع الأسلحة وزعها في الرقة وكيفان وقتل عدداً من المحتلين.

تميز - رحمة الله - بالحيوية ونظم الشباب في خلايا وزعت المنشورات وأجهزة الراديو لبث الرعب في صفوف الأعداء.

خطط مع أفراد مجموعته للهجوم على مخفر الرقة وفاز بالشهادة برصاصات غادرة.

بحماسمهم ووطنيتهم أتموها بنجاح، وكانت تلك المنشورات تتحدث عن موقف الكويت ومساندتها السابقة للعراق، وأنه لا مبرر للاحتلال، بالإضافة إلى توزيع بعض أجهزة الراديو على بعض جنود الاحتلال، تلك الأجهزة التي كانوا يحصلون عليها من الجمعيات، وكانوا يهددون من وراء ذلك حتى هؤلاء الجنود على الاستماع إلى الأخبار وإلى التحالف الدولي لإثارة الذعر في قلوبهم.

وكان بعض أفراد المجموعة قد استعنوا بأحد المواطنين من الجنسية المصرية لمساعدتهم في التوزيع. وفي مجال الخدمة المدنية قام أفراد المجموعة بتوزيع النقود على الأهالي لمساعدتهم على المرابطة والصمود بالإضافة إلى توزيع التموين على الأسر الحاجة.

ولم تتردد المجموعة في تقديم الذخيرة لمجموعة العدان وكان الشهيد «علي علم دار» يتربّد على آخر الشهيد إبراهيم لهذا الهدف.

جود مباركة

لقد شارك - رحمة الله - في نشاط مجموعة العدان لكننا سنحاول التركيز على بعض الأنشطة التي قام

الأيام الأولى من الاحتلال حين لم تكن السلطات الصدامية قد أحكمت قبضتها على كل مناطق الكويت.

ومن الأنشطة التي كانت تقوم بها هذه المجموعة مساعدة الأسر الكويتية الراغبة في مغادرة الوطنخصوصاً العسكريين الذين كانوا مستهدفين من السلطات الصدامية المحتلة.

خلايا عمل

لقد تميز - رحمة الله - بالنشاط والحيوية، وقد قام بتنظيم الشباب في عدة خلايا، ضمت كل خلية ٤ أفراد، ولقد تعدد نشاط هذه الخلايا فقد قام أحد أفرادها بإلقاء قبالة على سيارة للعدو محمولة بأسلحة عند جسر منطقة هدية، كما قاموا بتوزيع منشورات كثيرة تحت الشعب الكويتي على المرابطة والصمود. وزع أفراد المجموعة بعض المنشورات على أفراد القوات الصدامية الذين كانوا في بعض المواقع في البر، وذلك في أثناء عودة الشباب من توصيل بعض الأسر الكويتية إلى الحدود الكويتية السعودية، وكانوا يتظاهرون أنهم جاؤوا من مزارع الوفرة. ورغم خطورة هذه المحاولات إلا أن الشباب

منع أهله من مغادرة الكويت وأصرّ على المقاومة، وكان يردد على مسامع أهله أن الصمود يعني الجهاد.

إنه الشهيد إبراهيم إسماعيل عبد الله الكندي من مواليد عام ١٩٦٤ كان موظفاً في معهد التكنولوجيا منذ عام ١٩٨٩، شاب وطني متخصص يتحلى بروح معنوية عالية. وفي صباح يوم الخميس ٢ أغسطس ١٩٩٠ ليس ملابسه العسكرية وتوجه إلى القاعدة العسكرية التي كان يعمل فيها من قبل وعاد عصر الأحد وقد أحضر معه بنادق ذاتية وطلقات.

لابد من المقاومة

لقد كان - رحمة الله - أحد أعضاء مجموعة للمقاومة تشكلت في اليوم الثاني للاحتلال العراقي الغاشم، وكانوا يشاورون في منزل أحد هم حول دورهم في مقاومة الاحتلال، وما هي الخدمات التي يجب عليهم تقديمها للمواطنين، وكانت الخطوة الأولى هي العمل بكل الطرق لجمع أكبر كمية من السلاح، سواء بواسطة العسكريين أو الشباب المدني الذي استطاع جمع أسلحة من المعسكرات والمخازن، ثم بعد ذلك بدأوا عملية توزيع تلك الأسلحة، في

لَهُمَا وَدْ لَنَا



بها فقد كان رحمة الله يحرص على القيام بعمليات ضد القوات الصدامية بمفرده ويشجاعة، كما قام بجمع أسلحة وتوزيعها في منطقة الرقة، حيث مسكنه وفي منطقة كيفان.

كما قام الشهيد - رحمة الله - بقتل عدد من جنود الاحتلال الذين كانوا يعيثون فساداً في البلاد، بالإضافة إلى تقديم المساعدات للأسر الكويتية المحتاجة، وقد تمكن الشهيد من اصطحاب بعض جنود الاحتلال بحججه توصيلهم إلى الأماكن التي يريدون الذهاب إليها ثم يقوم بتسليمهم إلى أفراد المجموعة، وكان يشعر بالفرح الغامر كلما نجح في القيام بعمل ضد المحتل، لأنه يؤدي واجبه الوطني ويقترب من يوم التحرير.

تحذّر وظفر

كان الشهيد - رحمة الله - قد خطط مع بعض أفراد المجموعة للهجوم على مخفر منطقة الرقة مساء الجمعة ١٠ أغسطس ١٩٩٠، وفي ذلك اليوم وعند الساعة الثانية والنصف ظهراً خرج مع أحد زملائه للتجول في المنطقة وفي الطريق شاهد أحد أفراد القوات المحتجزة يقف بسيارة أمام ماء سبيل يقع في الشارع العام بين قطعة (١) وقطعة (٢)، فأصر أن يوقف زميله السيارة للقيام بتهديد هذا الجندي، وأخذ سلاحه منه للاستفادة منه في العملية الجديدة، وبالفعل نزل الشهيد وبسرعة خاطفة وضع مسدسه على رأس الجندي وطلب منه تسليم سلاحه، لكن الجندي عاجله بإطلاق النار عليه فسقط الشهيد بالقرب من السيارة، ورغم الإصابة فإنه أطلق النار من مسدسه ولكن الجندي كثف من إطلاق العيارات النارية من سلاحه باتجاه الشهيد - رحمة الله - وسيارة زميله الأعزل الذي اضطر

في مقبرة الرقة بعد أن انطلق في مقاومة المحتل بعزّم لا يلين فقدم حياته فداءً للوطن.

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

من كتاب شهداء الكويت
توثيق وتسجيل - د. نجاة عبد القادر الجاسم -
«بتصرف»

إلى مغادرة المكان لتقادي نيران سلاح الجندي الذي أجبر بعدها قائد إحدى السيارات وتحت تهديد السلاح على توصيله إلى مخفر منطقة الرقة ثم قام الجيران بنقل الشهيد إلى مستشفى العدان وكان على قيد الحياة، لكنه استشهد في غرفة العمليات، وكانت إصابته بلغة فقد أفرغ الجندي معظم ذخيرته سلاحه في جسده، ومن مكان قريب جداً. وفي يوم السبت ١١ أغسطس تم دفن جثمان الشهيد

في كتابها الجديد .. «تقويم فعالية العمل الجماعي» .. الشيخة أمثال الأحمد :

الولاء للوطن وجماعية اتخاذ القرار والثقة بين المواطنين والقيادة الشرعية أهم دوافع تحرير الكويت



□ بفضل الروح المعنوية العالية نجح المواطنون في أداء واجبهم أثناء محنـة الغزو.

□ التنسيق بين القيادة والشعب عجل إنهاء الاحتلال العراقي الغاشم عام ١٩٩٠.

«تقويم فعالية العمل الجماعي» - دراسة تطبيقية على تجربة دولة الكويت، تأليف: الشيخة أمثال الأحمد الجابر الصباح (رئيسة اللجنة خمسة فصول، الأول: جماعات العمل، الثاني: عناصر العمل الجماعي، الثالث: فعالية جماعات العمل في إدارة أزمة الكويت، أما الفصلان الرابع والخامس فقد خصصتهما المؤلفة للدراسة الميدانية والنتائج والتوصيات صدرت عن (لجنة التأليف والتعريب والنشر) مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت لعام ٢٠٠٤ م.

أهمية الكتاب

تبعد لنا قيمة هذا الكتاب العلمية وأهميته في تعرضه لبيان دور ومفهوم أسلوب العمل الجماعي وحصر عناصره والكشف عن علاقات الارتباط والتأثير المتبادل بين عناصر ومكونات العمل الجماعي. إلى جانب تقييم الكتاب لفعالية أسلوب العمل الجماعي ودوره في مواجهة الغزو العراقي لدولة الكويت في عام ١٩٩٠.

وقد اتبعت المؤلفة في هذا الكتاب المنهجين: (التحليلي) للمتغيرات الديمقراطية على اتجاهات الأفراد نحو العمل الجماعي (والوصفي) الذي اعتمد على جميع البيانات اللازمة لتلك الدراسة، وذلك من خلال تصميم استقصاء (استطلاع رأي) لقياس فعالية العمل الجماعي.

جماعات العمل

يبدأ الكتاب موضوعه بالفصل الأول (جماعات العمل) حيث تتناول فيه الشيخة أمثال الأحمد، مفهوم وخصائص جماعات العمل، وأسباب تكوينها، وأهدافها، وأنواع جماعات العمل، وفعاليتها، ودورها في حياة الجماعة، حيث تشير المؤلفة إلى تجربة العمل الجماعي في دولة الكويت أثناء الغزو العراقي.

عشرة عناصر

تنقل المؤلفة في الفصل الثاني من الكتاب للحديث عن (عناصر العمل الجماعي) العشرة وهي: تحديد الأهداف، المشاركة، الالتزام، المشاعر، منهجية تشخيص وتحديد المشكلة، أسلوب تناول ومناقشة الموضوعات، الخلق والإبداع والتطور، أسلوب اتخاذ القرارات، الثقة المتبادلة، نمط القيادة، والحقيقة أن هذا الفصل وما ورد فيه من تفصيلات كثيرة لكل عنصر من تلك العناصر العشرة، يعتبر بمثابة (مدخل نظري) للفصل الثالث من هذا الكتاب الذي يتناول (فعالية جماعات العمل في إدارة أزمة الكويت) أثناء الغزو العراقي.

جماعات العمل أثناء الاحتلال

من المعروف أن جماعات العمل لها دور مهم في إدارة الأزمات، خاصة في حالة تعرض الأوطان لاجتياح خارجي، كما حدث للكويت في عام ١٩٩٠ ومن ثم تعرض المؤلفة في الفصل الثالث للدور الفاعل الذي قامت به جماعات العمل التي تولت إدارة الأزمات أثناء فترة الغزو العراقي الغاشم.

وهو ما تمثل في جدوله وترتيب أولويات المشكلات التي توجب على أعضاء تلك الجماعات التصدي لها وببحث كيفية إيجاد الحلول العملية لها من أجل تأمين

جماعات العمل الأخرى (الرسمية) بسبب شلل عمل أجهزة الدولة وتعطل جميع مراقبتها عن الاتصال بالعالم الخارجي.

وتوضح المؤلفة هنا مدى تأثير العناصر الإيجابية التي اتبعتها جماعات العمل خلال إدارة أزمة الكويت وسبل علاج المشكلات هناك، من خلال ما يلي:

- ١- وحدة الهدف (تحرير الكويت).
- ٢- أهداف جماعات العمل خارج الكويت (التحرير).
- ٣- أهداف جماعات العمل داخل الكويت (الحفاظ على تماسمك الجبهة الداخلية ضد العدو).
- ٤- المشاركة وصورها لجماعات العمل بالخارج.
- ٥- صورة المشاركة لجماعات العمل بالداخل.
- ٦- الالتزام بمعايير الجماعة.
- ٧- إيجابية المشاعر للأفراد نحو الولاء والانتماء للوطن.
- ٨- منهجية تحديد وتشخيص المشكلات.
- ٩- جماعات اتخاذ القرار.

الاحتياجات اليومية للفرد وأسرته. حيث تبين المؤلفة أنه قد تضافت الجهود الجماعية غير الرسمية في حل هذه المشكلات ب مختلف الوسائل والأساليب وفنون الاتصال وجمع المعلومات والتنسيق وتوزيع المهام والأدوار .. إلخ (ص ١١٦ من الكتاب).

وتوضح المؤلفة السلوك الذي اتبعته جماعات العمل في الكويت أثناء الغزو، والذي تمثل في ضرورة تكوين جماعات عمل لتحقيق وتلبية احتياجاتهم من خلال رغبة شعبية مشتركة تعانقت بها مشاعر الأفراد من أبناء الوطن، وبرزت فيها الروح الكويتية التي يتمتع بها شعب الكويت والتي جسدت تمسك الكويتيين بحرمة أرضهم وعزتها وكرامتها. وهو الهدف الأول الذي تطلع إليه تلك الجماعات وقياداتها.

وتطلق المؤلفة على تلك الجماعات وصف الجماعات المختلطة (Heterogeneous Groups) والسمة اللافتة في تكوين تلك الجماعات - حسب ملاحظة المؤلفة - هي أن النساء والرجال خلال فترة الاحتلال العراقي للكويت - اندمجوا في جماعات عمل واحدة، لا فرق هناك بين رجل وامرأة، وقد اتفقت فيما بينها على أن روح التعاون والتفاهم لا بد أن تسود العلاقات بين جميع أعضائها.

حيث توجه الجميع إلى العمل الجماعي وأصبح كل فرد مسؤولاً عن عمل الجماعة، وأصبح الولاء والانتماء للوطن هو الدافع الأول للعمل. وتم التنسيق بصورة فعالة بين أنشطة جماعات العمل المنتشرة في جميع مناطق الدولة على الرغم من الظروف الصعبة والمعوقات التي كانوا يواجهونها.

وقد أدى ارتفاع الروح المعنوية لدى هؤلاء الأفراد (الجماعات) إلى قيامهم بأداء واجبهم على أكمل وجه، حيث كانت هذه الجماعات تتسع بصورة أو بأخرى مع حكمة الحكومة في الخارج (القيادة) الشرعية للكويت لأخذ الأوامر، وتدالو المعلومات التي لم تكن متوفرة لدى

تقييم فعالية العمل الجماعي

(دراسة تطبيقية على تجربة دولة الكويت)

أمثال الأحمد الجابر الصباح
رئيسة اللجنة الكويتية للعمل التطوعي

2004

مجلـس النـشر العـالـمي
جامعة الكويت

خاضوا أزمة الكويت خلال عام ١٩٩٠ والذين بلغ عددهم ٤٠٠٠ مفردة، وقد استخدمت المؤلفة الأساليب الإحصائية بهدف بيان العلاقة بين المتغيرات التي تضمنتها فروض البحث مع الاستعانة بالعديد من أساليب التحليل الإحصائي مثل: التكرار والنسب لتوصيف عينة البحث، والمتosteats الحسابية ودرجة الانحراف المعياري لتحديد أولويات متغيرات فعالية العمل الجماعي، حسب متوسط الرتب لمتغيرات فعالية العمل الجماعي، وكذلك اختبار (مان وتي) .. لإثبات درجة اختلاف اتجاهات مفردات العينة نحو متغيرات فعالية العمل الجماعي باختلاف المتغيرات الديمocratique.

وأيضاً استخدمت المؤلفة اختبار (فرييد مان)، واختبار جوهري الفروق بين المتosteats (t)، (Z)، والتحليل العاملی لتصنیف المجموعات المختلفة لمتغيرات فعالية العمل الجماعي أثناء ممارسة العمل في الظروف العادي، خلال أزمة الكويت، بقيمة تباين لكل عامل واحد صحيح على الأقل، وحد أدنى لعامل ارتباط على العامل (٥،٥) لضمان نقاء التصنیف ودقته (١٧١ من الكتاب).

أهم النتائج والتوصيات

بعد ذلك جاء الفصل الخامس متضمناً تفصيل النتائج والتوصيات التي خلصت إليها المؤلفة في هذا الكتاب، فيما يتعلق بالجانب التطبيقي للدراسة على تجربة دولة الكويت أثناء فترة الغزو العراقي في عام ١٩٩٠.

ومن أهم التوصيات في هذا الصدد ما يلي:

- ◆ شددت المؤلفة على ضرورة الاهتمام بدعم وحدة الهدف باعتباره متغيراً أساسياً لفعالية العمل الجماعي، بحيث يكون الهدف دقيقاً ومحدداً وقابلًا للقياس ومرتبطاً بفترة زمنية محددة.. وكذلك ضرورة التركيز على مشاركة الأفراد في وضع الأهداف واستخدام أسلوب الإدارة بالأهداف مدخلاً لفعالية العمل الجماعي.
- ◆ توفير مناخ الحرية عند تناول أو مناقشة الموضوعات بين أعضاء الجماعة، وأن يدعم ذلك المناخ تطبيق مبدأ الاحترام المتبادل بين جميع الأفراد.

- ◆ الالتزام بمبدأ المشاركة لجماعات العمل الفعالة وتعميمه في ظل مناخ يتسم بالتعاون بين أعضاء الفريق والتكامل والتفاعل الإيجابي.
- ◆ الاعتماد على استخدام الأساليب العملية في اتخاذ القرارات، خاصة تلك التي تنشأ في ظل المتغيرات

الإعلان عن وصول المواد الغذائية، أو تنفيذ تعليمات معينة .. وهكذا كانت المساجد أشبه بـ «غرف عمليات» يتم فيها تبادل الأخبار والمعلومات وأخذ التوجيهات والإرشادات اللازمة.

ذلك كان لعنصر «الثقة المتبادلة» أحد صور المشاركة الجماعية لجماعات العمل الكويتية خلال فترة الاحتلال الأثر الإيجابي الفعال، فبتوافره بدأ التنسيق بين جماعات العمل منذ الأيام الأولى للاحتلال، وقد تمثل ذلك في المشاركة في اتخاذ القرارات المصيرية بين جماعات العمل وهو الدليل القطاع على مدى الثقة المتبادلة فيما بينها، مما انعكس على ثقة الأفراد في أنفسهم وفي فرق العمل التي تدير البلد بصورة مشتركة وجماعية (ص ١٥٩ من الكتاب).

وتفسر هذه الثقة المتبادلة بين جماعات العمل الجماعي هذا التلاحم الشعبي وسط ظروف قاسية وتحديات صعبة، حيث كان هناك إدراك وتقدير جماعي لقيمة المسؤولية والثقة المنوحة لهم، فقام الجميع بالمشاركة عن وعي واقتدار لتحقيق الأهداف المنشودة من خلال علاقة مستمرة تتميز بالتفاعل والتآثر المتبادل.

وتوضح المؤلفة أن لعنصر الثقة هذا أثراً كبيراً في توزيع الأدوار بين جماعات العمل. وخلق قيادات للخدمات وقيادات للمناطق، وقيادات للمقاومة، وإعطاء هذه القيادات حرية اتخاذ القرارات دون اللجوء إلى لجنة إدارة الدولة، مع وجود نظام اتصال مفتوح فيما بينهم تتدفق من خلاله المعلومات والبيانات الخاصة لكل قطاع.

وتدلل أمثل الأحمد على ذلك بقولها «لقد تعزز مبدأ الثقة عندما قامت اللجنة المشتركة لإدارة البلاد (خلال فترة الاحتلال) بالسماح لفرق العمل المدنية بإدارة الجمعيات التعاونية، لما لهذه الجمعيات خلفية تنظيمية وإدارية، فقادت بتوصيل المؤن إلى منازل الأهالي وإقراضهم الأموال، وحثّهم على الصبر واللجوء إلى الله عز وجل ليفرج كربتهم وتهئّة مشاعرهم». ولقد كان لخلفية هذه الجمعيات التنظيمية والإدارية الدور الكبير في فعالية العمل الإداري.

الدراسة الميدانية

خصصت المؤلفة الفصل الرابع من الكتاب للشق الميداني منه، والذي تهدف فيه إلى اختبار صحة فروض الدراسة الميدانية (التطبيقي) على عينة الدراسة المأخوذة من مواطني دولة الكويت الذين

١٠- الثقة المتبادلة بين المواطنين.

وتحلّص أمثل الأحمد من ذلك إلى التأكيد على أن أهداف جماعات العمل خلال فترة الاحتلال كانت صريحة وواضحة، فالكويت أسرة واحدة، حاكماً ومعهومين، شاركت كلها في مواجهة الاحتلال وبدأت عملية المشاركة منذ الأيام الأولى للاحتلال بعد أن تم تفويض السلطة (الشرعية) لجماعات العمل، والذي تمثل في انتقال مؤقت لسلطة اتخاذ القرارات وصلاحية التصرف في الأمور التي واجهتهم في ظل الظروف الصعبة.

وتؤكد المؤلفة أن هذا «التقويض» زاد من عمق التعاون بين الأفراد بالداخل والحكومة الشرعية بالخارج كما أدى إلى زيادة الشعور بتكافف الجهود وارتفاع الروح المعنوية لدى الأفراد، لإدراكهم واستيعابهم حجم المسؤولية، وساد مفهوم روح الفريق والشعور بالانتماء والولاء للجماعات (الوطن) (ص ١٢٩ من الكتاب).

المشاركة الشعبية

وبالنسبة للمشاركة الشعبية أثناء أزمة الغزو العراقي للكويت فقد عدلت المؤلفة الكثير من نماذجها وأمثلتها التي تمثلت بوضوح في رسم الخطط واتخاذ القرارات المستمدّة من نظام الشورى والديمقراطية والمشاركة في إدارة الأمور الحاسمة في الدولة. ومن الأدلة على ذلك سعي الجميع - منذ الساعات الأولى للاحتلال - لإظهار مشاعر الرفض والغضب ضد عملية الغزو العراقي .. فالعسكري حمل ونقل السلاح، والمدني سارع إلى العمل في الجمعيات التعاونية، وكون أصحاب المهن والفنانين جماعات عمل لتوفير الماء والكهرباء.

وكان من إيجابيات تجربة المشاركة الفعالة من الأفراد خلال فترة الاحتلال أن دفعت القيادة السياسية إلى رفع نسبة مشاركة الأفراد بعد التحرير في المجالات العلمية والتكنولوجية، بما يوفر لها مزيداً من الاعتماد على قدراتها الذاتية والمشاركة في استعادة المسيرة الإنمائية للكويت عقب التحرير. وتشير المؤلفة - في رصد تحليلي - إلى أن الظروف الصعبة أثناء الاحتلال لعبت دوراً كبيراً في عملية الإبداع والابتكار، حيث توصلت «جماعات العمل» إلى حلول ابتكارية للمشكلات التي واجهتها ومن ذلك استخدامها للمساجد في تلك الفترة لتكون ملذاً ومكاناً روحياً للأمن والطمأنينة والراحة النفسية، إلى جانب توظيفها كمراكز إعلامية للتوعية من جهة، وإلخار مواطنين بالأمور المهمة لهم، مثل

تطبيقية على تجربة دولة الكويت) للقارئ أي تجربة يعنوها هذا الكتاب بالضبط، وما هي «إشكالية» البحث الذي يتناوله موضوعه.

ولذلك نتمنى في الطبعة الثانية لكتاب أن يكون العنوان الفرعي له «مشكلة الغزو العراقي للكويت نموذجاً» حتى يتضح للقارئ موضوعه المحدد من جهة، ويتسنى للباحثين المعينين تصنيفه في مجال اهتماماتهم البحثية الملائمة لموضوعه من جهة أخرى.

٢- افتقد الكتاب إلى «مقدمة» مؤلفته، ولذلك نود أن «الملخص» الذي أوردته المؤلفة في (ص ٢٨٠ من الكتاب) يوضع في بداية الكتاب كدليل عن المقدمة، بحيث يساعد القارئ والمتخصص على الإلام بمضمون الكتاب والهدف منه تحقيق الاستفادة منه بشكل سهل وبطريقة ميسرة معاً.

٣- ما أوردته المؤلفة في (ص ١١٦) من كتابها فيما يتعلق بحديثها عن إبراز أهم الجوانب والقضايا العلمية والتطبيقية في التجربة الكويتية، أثناء فترة الاحتلال العراقي للكويت .. نرى أن مكانه المناسب في (مقدمة) الكتاب، وليس الفقرة ١ / في الفقرة (٢) في الفصل الثالث من الكتاب والذي تتناول فيه المؤلفة (فعالية جماعات العمل في إدارة أزمة «الغزو») للكويت.

ونؤكد - في النهاية - أن تلك الملاحظات لا تقلل من أهمية الكتاب ولا من قيمته، حيث يمثل إضافة حقيقة في مجال الدراسات الأكاديمية والعلمية الرصينة في موضوع «تقييم فعالية العمل الجماعي» بوجه عام.



يعتبر الفصلان الأولان من كتابها بمثابة (مدخل نظري / تمهددي) للفصول الثلاثة التالية التي تشكل الجانب التطبيقي الذي يركز على دراسة «فعالية جماعات العمل في إدارة أزمة الكويت أثناء مشكلة الاحتلال العراقي في عام ١٩٩٠».

مع تقديرنا للجهد العلمي المبذول في هذا الكتاب إلا أن ثمة ملاحظات تجدر الإشارة إليها يمكن للمؤلفة تداركها في الطبعات التالية منه بإذن الله ... ومن تلك الملاحظات ما يلي:

١- بالرغم من أن الكتاب يركز على «دراسة فعالية جماعات العمل في إدارة أزمة الكويت أثناء الاحتلال العراقي في عام ١٩٩٠» لدولة الكويت. فإن العنوان الفرعي لكتاب قد خلا من إيضاح ذلك تماماً، إذ لم يوضح العنوان (دراسة

المستقبلية سواء أكانت اقتصادية أو اجتماعية، أو سياسية أو تكنولوجية والتي تزداد فيها المخاطرة وعدم التأكد من مشاركة المتخصصين، والاعتماد على دراسة وتحليل ومقارنة جميع البدائل المتاحة بناء على معايير محددة، وذلك لاختيار أفضل البدائل في ضوء الإمكانيات والمواد المتاحة، بهدف التمكن من معالجة مصادر الضعف والتهديدات الخارجية والتكيف معها.

♦ العناية بوجود أهداف واضحة ومحددة ترشد السلوك الجماعي وتوحد الاتجاهات، وأن تكون الأهداف الجماعية المحرك لجميع جهود الأعضاء .. وتميل المؤلفة إلى الأخذ بمبدأ الإدارة بالأهداف لكونه الأسلوب المناسب للتطبيق، لتفعيل دور جماعات العمل التي تشارك في تحديد الأهداف، مع مراعاة درجات التجانس بينها والقابلية للفياس والمرونة لاستيعاب التغيرات التي تعد من ضمن عمليات التقويم والقياس، والمراجعة وتصحيح الأخطاء (ص ٢٧٠ من الكتاب).

ملاحظات

لقد وفقت المؤلفة في الجمع بين النظريات الغربية والغربية فيما يتعلق بـ «تقييم فعالية العمل الجماعي» والتعريف بأسس تكوين جماعات العمل وطرق العمل معها، والمراحل التي يمر بها تكوين تلك الجماعات. كذلك فصلت المؤلفة عناصر العمل الجماعي التي تتمثل في تحديد الهدف والمشاركة والالتزام والمشاعر، ودور الخلق والإبداع في العمل الجماعي، وأسلوب اتخاذ القرارات الأمثل، وأثر الثقة المتبادلة، ونمط القيادة في جماعات العمل.

مراحل دورة حياة الجماعة

الخصائص	المرحلة
التعارف والتآلف والاتفاق على الفكرة العامة	(١) مرحلة التكوين Forming
استعراض ومحاولة الاتفاق على الأهداف والمهام واختبار وتحديد القائد	(٢) مرحلة الصراع Storming
الصياغة الجماعية لأسس وقواعد العلاقات بين أفراد الجماعة وأسلوب العمل وأدوات حل المشاكل	(٣) مرحلة وضع القواعد Norming
العمل وتنفيذ المهام التي سبق أن تم الاتفاق الجماعي عليها	(٤) مرحلة الأداء Performing
الفرص بسبب تنفيذ الأهداف والمهام أو التفكك بسبب انسحاب الأعضاء نتيجة الخلافات مع بعضهم البعض أو مع قائد الجماعة	(٥) مرحلة التوقف أو التفكك Adjourning

خطيب العرب في الجاهلية والإسلام

سَهِيلُ بْنُ عَمْرُو الْعَامِرِي

عاده على الإخلاص لله ورسوله ووفى وعده.

تحققت فيه نبوءة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقوله لعمرو بن الخطاب «لعل سهيلا يقف غداً موقفاً يسرك».

وأقواهم محاجة وقدرة على إقناع محمد صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه بالعودة..

ولكنه رجع إلى قومه بخفي حنين ولم يستطع أن يغير من الموقف شيئاً، بل رجع إلى قريش وهو يقول لهم: «لقد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والتجاشي في ملكه فما رأيت ملكاً قط يعظمه قومه كما يعظ أ أصحاب محمد مهداً، ولقد رأيت قوماً لن يسلموه أبداً!!»

عنده آتتني قريش أنه لا جدوى مع محمد وأصحابه من الرجوع عن عزتهم الذي خرجوا من أجله فقررت أن تجأ إلى المفاوضة والصلح، واختارت لهذه المهمة أكنا فرسانها وأصلاح زعمائها فكان (سهيل بن عمرو) وما رأى المسلمين سهيلاً مقبلاً عليهم عرفوه وأدركوا أن قريشاً إنما آثرت الصلح والتقاهم ما دامت قد بعثت سهيلياً.

واستطاع سفير قريش أن ينهي حواره مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالصلح، واستطاع أن يكسب لقريش الكثير وقد ساعده على ذلك ما كان عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من تسامح وبعد نظر إلهي انتهى بهم إلى الصلح على الرغم من جور المطالب التي تقدم الخصم بها والتي أثارت كثيراً من الغضب في نفوس بعض الصحابة، ولكنها فراسة وسماعة النبوة التي دلت عليها حوادث الأيام بعد ذلك.

الخطاب رضي الله عنه من رسول الله يقول له: «يا رسول الله دعني أنزع ثنيتي» (سهيل بن عمرو) حتى لا يقوم خطيباً عليك بعد اليوم!! فأجابه الرسول - صلى الله عليه وسلم - : «كلا يا عمر .. لا أمثل بأحد فيمثل الله بي وإن كنت نبياً» ثم تابع الحديث قائلاً ب بصيرة القائد الملهم والنبي المعلم: «ولعل سهيلاً يقف غداً موقفاً يسرك».

لقد كان سهيل بن عمرو واحداً من كبار زعماء قريش المبرّزين ومن حكمائهم وذوي الفطنة والذكاء فيها والرأي والمشورة إذ إنه هو الذي انتدبته قريش ليقنع الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالعدول عن دخول مكة عام صلح الحديبية عندما خرج الرسول وأصحابه إليها ليزوروا البيت الحرام معتمرين لا يبتغون حرباً لهم غير معتزمين القتال..

وعلمت قريش بمسيرهم إلى مكة، فخرجت لتقطع عليهم الطريق وتشيئهم عن وجهتهم التي خرجوا من أجلها، وعندئذ قال الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه: «لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها».

وراحت رسول قريش تتوافد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لاستجلاء عزمه ومقصده وهو يخبرهم أنه إنما جاء يريد زيارة البيت الحرام وتعظيم حرماته، ولم يأت لقتال، فلقد أرسلوا إليه عروة بن مسعود التقي وكان من أقطن رجال قريش

والله لا أدع موقفاً مع المشركين، إلا ووقفت مع المسلمين مثله، ولا نفقة أنفقتها مع المشركين إلا أنفقت مع المسلمين مثلها، لعل أمري أن يتلو بعضه بعضاً.

هذه كلمات أمير من أمراء الإسلام وسفير من السفراء الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه من البطولة والجهاد حتى الشهادة، إنه سهيل بن عمرو بن عبد شمس العامري خطيب قريش وأحد ساداتها في الجاهلية ومبعوثها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الحديبية والذي تولى أمر مفاوضة رسول الله على الصلح حتى لا يدخل مكة عنوة قبيل الفتح بعام واحد، يقول ابن اسحاق عن الزهرى: إن قريشاً بعثت سهيل بن عمرو أخيبني عامر بن لؤي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. و قالوا له: أئتم محمداً فصالحة، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عame هذا، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبداً، فأتاه سهيل بن عمرو، فلما رأه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقبلاً قال: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل» فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تكلم فأطأل الكلام، وتراجعا حتى جرى بينهما الصلح.

إنها نبوءة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التي عرفت لهذا الرجل قدره عندما وقع أسيراً في أيدي المسلمين في غزوة بدر وحينما اقترب عمر بن

وإيمانا حتى اشتهر بين أصحابه بالسمح الجواب وأصبح كثير الصلاة دائم الصيام محبا للصدقات مداوما على تلاوة القرآن بكاء من خشية الله وتجلت عظمة سهيل رضي الله عنه في كثير من المواقف والأمور ولقد كان له موقف غاية في الثبات وقوة الإيمان بمكة لا يقل روعة وعظمة عن موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بالمدينة حينما توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووقف في الناس خطيبا يخبرهم أن محمدأً كان رسول الله حقا، وأنه لم يتم حتى أدى الأمانة وبلغ الرسالة، وأن واجب المسلمين بعده أن يمعنوا في الأخذ بسننه والسير على نهجه مصداقا لقوله - صلى الله عليه وسلم - (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وسنتي).

وبموقف سهيل وبكلماته الرشيدة وإيمانه الوثيق درأ الفتنة التي كادت تعصف بإيمان بعض الناس في مكة حينما بلغتهم نباء وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

وهكذا تحقت في هذا الرجل العظيم نبوءة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حينما قال لعمرو بن الخطاب: لعل سهيلياً يقف غداً موقفا يسرك.

وعندما أسلم سهيل بن عمرو يوم الفتح وبعد أن ذاق حلاوة الإيمان أخذ على نفسه عهدا لخذه في هذه الكلمات: «والله لا أدع موقفا وقوته مع المشركين إلا وقفت مع المسلمين مثلها، ولا نفقة أنفقتها مع المشركين إلا أنفقت مع المسلمين مثلها، ولعل أمري أن يتلو بعضه بعضا».

وهكذا تحول المشرك اللدود إلى مؤمن أواب يقاتل في سبيل الله وقد عاهد نفسه أن يظل في رباط وجهاد حتى يدركه الموت على ذلك عسى الله أن يغفر له ما تقدم من ذنبه.

وأخذ سهيل بن عمرو - رضي الله عنه - مكانه في جيش الإسلام مقاتلاً شجاعاً يدفع مع كتائب الحق الروم ويطغى مع الباسلين نار فارس في سبيل كلمة التوحيد.. وهكذا أخرج إلى الشام مع جيوش المسلمين مشاركاً في حروبها، ويشهد له يوم معركة اليرموك حيث خاض المسلمون موقعة تناهت في الضراوة والعنف والمخاطر.. وعلى الرغم من حبه لوطنه مكة إلا أنه أبى الرجوع إليها وهو يقول: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول «مقام أحدكم في سبيل الله ساعة خير له من عمله طول عمره» واني لمرابط في سبيل الله حتى أموت ووفى البطل المجاهد عهده مرابطاً إلى أن لقي ربه راضياً وصعدت روحه إلى بارئها تتعم برضا الله ورضوانه شهيداً سنة ثمانى عشرة للهجرة النبوية، فرضي الله عنه.



وتجلت عظمة الرسول الأكرم حينما قال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».. موقف من الكرم والتسامح والمرؤة أهداه الرسول العظيم إلى من آذوه وأخرجوه بالأمس من بلده الحرام أحاب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إليه .. ولقد أثرت هذه اللحظات المرجفة في نفس سهيل بن عمرو فأسلم لله رب العالمين .. ولم يكن إسلامه يومئذ إلا إسلام رجل ببراته عظمة النبي الإسلام ودينه الذي جاء يدعوه من أجله واتبعه أصحاب العقول والألباب من شتى أنحاء جزيرة العرب..

ولا عجب أن نجد من هذه الجموع الكريمة التي أسلم يوم الفتح من جاؤوها الحد في إخلاصهم وولائهم لله ولرسوله وسموا إلى آفاق بعيدة من الفداء والتضحية والعبادة والطهر حتى جعلتهم في الصفوف الأولى بين أصحاب النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - ومن بينهم (سهيل بن عمرو) رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

وصاغه الإسلام من جديد وصقل مواهبه وأضاف إليها كل خير وجعلها جميعها في خدمة الحق خيراً

ومضت الأيام يطوي بعضها بعضاً حتى أهلت السنة الثامنة من الهجرة وخرج المسلمون بقيادة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لفتح مكة بعد أن نقضت قريش عهدها مع الرسول الكريم، وعاد المهاجرون إلى وطنهم الذي أخرجوا منه مكرهين، وعاد معهم الأنصار الذين آووه ونصروه، وعاد الإسلام إلى مكة مع هذه الجموع الهادرة تتحقق رياته الظاهرة في جو السماء، ومكة تفتح أبوابها كلها والمشركون يومئذ في ذهول يملؤهم التوجس والخوف حول مصيرهم بعد هذا الفتح المبين وهم الذين أخرجوا النبي والذين آمنوا معه لأنهم كانوا يقولون: ربنا الله!!

ولم يشا النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - أن يدعهم تحت وطأة هذه المشاعر المنهكة بل بادرهم في عطف ورفق وهو يقول لهم: «يا معاشر قريش .. ما تظنون أني فاعل بكم!»! وعندئذ تقدم خصم الإسلام بالأمس سهيل بن عمرو إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال: نظن خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم..

شَاءَ اللَّهُ فَقَدْ هُوَ الظَّاهِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَكَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ مَا
عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَا لَمْ يَعْهُدْ
لِلْعَزَّالِ

الحمد لله

ذاكرة الأمة والحسن الذي يقيها من الذوبان

اللغة العربية ودورها في تغريب الهوية

اللغات كالكائنات الحية، وقدر كل كائن حي هو النمو أو الموت فاللغة التي تحمل في ذاتها قانون النمو Growth Law تمتد وتوسيع في الزمان والمكان رغم كل العوائق والتحديات. وبما أن اللغة العربية تحمل في ذاتها هذا القانون المستند إلى شرعية الدين والإنجاز والحضارة والفكر والقدرة اللغوية المرتكزة على غنى في الاستدلال والألفاظ والترادف والنحت، فقد امتدت وتوسعت في الزمان والمكان رغم كل التحديات والأزمات التي أخذت شكل الغزو الثقافي أو العولمة اللغوية التي تحاول فرض هيمنتها على لغات العالم.

تحمل اللغة العربية في ذاتها أيضاً قانون البقاء Survive law والحاضنة الرئيسية لحضارتها. وقانون البقاء أي الصراع من أجل البقاء، وهو إذ يبدأ بيولوجيا عند جميع الأنواع الحية، يصبح ثقافياً عند الشعوب والأمم أي أن الشعوب والأمم تحول إلى أنواع ثقافية فينذر شعب أو تندثر أمة ثقافياً عندما تخنق لغتها وبالتالي ثقافتها بوسائلها وليس عندما يبيد أهلها.

إن اللغة أية لغة تشكل الخصوصية الثقافية أو الهوية للأمة، وما من لغة شكلت هوية الأمم مثلاً شكلت اللغة العربية هوية الأمم العربية والإسلامية - ومهمماً اشتلت عملية العولمة ستظل الأمم العربية بفضل لغتها - لغة القرآن والحضارة العربية والإسلامية - محفظة بهويتها وخصوصيتها الثقافية بشكل دائم ومستمر.

وللغة العربية قيمة كبيرة لا تمثل فقط في أنها وسيلة التعبير الوحيدة للأمة العربية وفي أنها تعد الآن واحدة من كبريات اللغات في العالم ولكن لأنها - أولاً وقبل كل شيء - لغة القرآن والدين سجل ماضي العرب وديوان حاضرهم ووعاء ثقافتهم وحصن هويتهم، فـأي تقصير في خدمتها لا يعد تقصيرًا في جانب الوسيلة فقط وإنما في جانب الغاية كذلك.

واللغة العربية لغة غنية وذات قدرة وقابلية عظيمة لاستيعاب جميع المفاهيم والمصطلحات والإنجازات العصرية. فهذا الشاعر حافظ إبراهيم يقول على لسان اللغة العربية معبراً عن هذه القدرة:

وسررت كتاب الله لفظاً وغاية
وما ضفت عن أي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة

**ما من لغة شكلت هوية الأمة
مثلاً فعلت العربية، ومهمماً
اشتلت العولمة ستظل الأمة
محفظة بهويتها بفضل اللغة.**

وتنسيق أسماء مخترات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاته
فاللغة العربية لغة جميلة وغنية بمفرداتها
واشتراقاتها، وهي ذات سحر وبيان وجمال، أتقنها
أجدادنا وشكلت هويتهم عندما تحدثوا بها وفهموا

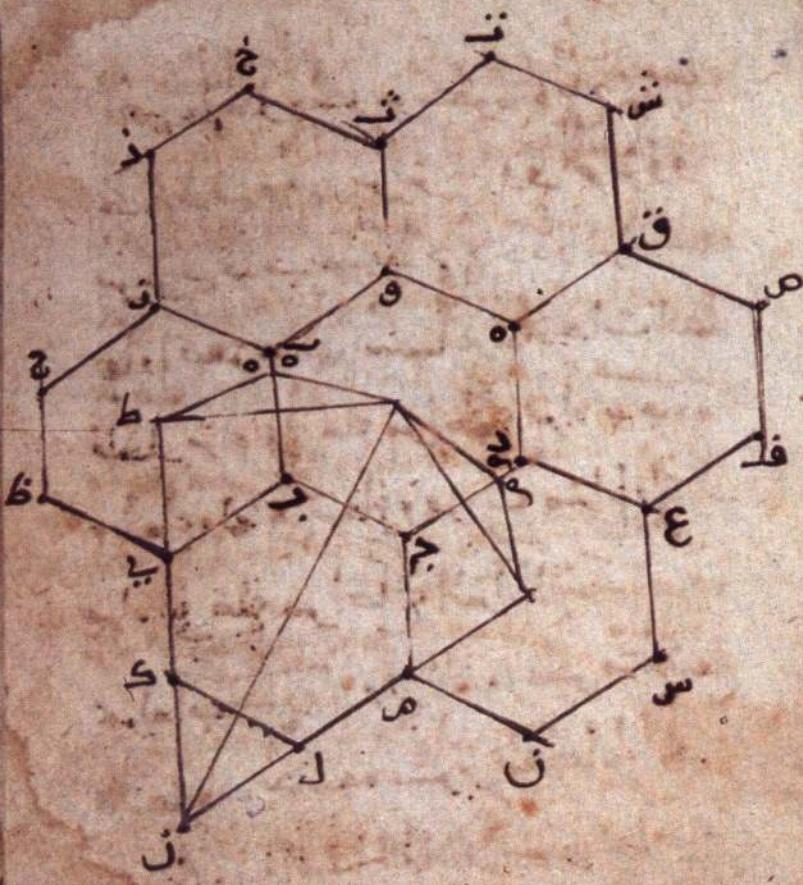


الأدبية واللغوية لتعزيز الثروة اللغوية وتعزيز الملكة الفكرية وتنمية المهارات اللغوية بحيث تمارس اللغة ممارسة حياتية يومية بصورة صحيحة ومنضبطة.
أقوى عوامل الوحدة

وبهذا المشروع اللغوي يمكننا أن ندخل في الخطاب العالمي الثقافي والحضاري، ونتفاعل مع هذا الخطاب بمشروعنا ونتعامل معهأخذًا وعطاءً. وشواهد الماضي وتجارب الحاضر في الشرق والغرب تثبت فيوضوح أن اللغة على الإطلاق هي أقوى عوامل الوحدة والتضامن بين أهلها، ومن

قواعدها وقدروا قيمتها، ولم يشتكون من صعوبتها لأنهم استخدموها في حياتهم الخاصة وال العامة، ولم يعرفوا مشكلة ازدواجية اللغة التي يمارسها المثقفون في هذه الأيام. ولهذا جسدت اللغة العربية هويتهم بامتياز وانعكس ذلك على ثقتهم بأنفسهم وأنماط سلوكهم الثقافية فكلما تعمق المرء في اللغة وعرف أسرارها وقواعدها، وسر أغوارها وقوانينها زاد إحساسه وإدراكه بجماليها وبلامتها ووظيفتها على الوجه الأكمل والأسسلم. ومن هنا لابد أن ندرس اللغة العربية بمنهجية علمية وتقديمها للطلبة بطريقة ميسرة وجذابة تعتمد الأسس التربوية والتعلمية الصحيحة. كما ينبغي أن نهيئ البيئة المناسبة لنعومها النمو الطبيعي السليم كما كانت في عصورها الذهنية. وهذا يعني توظيفها والتحدث بها في الأمور العامة والخاصة بأسلوب فصيح وصحيح لتعود اللغة المكون الأساسي لهوية الأمم العربية والإسلامية وهذا لا يتم إلا بتوفير الظروف الموضوعية للغة العربية والاهتمام بها ومعرفة قواعدها وعلومها والموا拙ة على الرجوع إلى مصادرها الأصلية وأمهات كتبها

**أتقنها أجدادنا ولم يشتكون
من صعوبتها بل استخدموها
في حياتهم الخاصة وال العامة،
ولم يعرفوا مشكلة ازدواجية
اللغة التي يمارسها المثقفون
في هذه الأيام.**



العلم والأدب والثقافة. ثم لم تكتف اللغة العربية بذلك، وإنما أثبتت أنها لغة طامحة وحريصة على أن تهضم كل ما تستطيع أن تقاوم أمامها من أنواع البحث والعلم والحضارة على اختلاف أنواعها. فكل ما كتبه اليونان وأكثر ما كتبه الرومان، وكل ما كتبته الشعوب الأفريقية والآسيوية التي عرفها العرب، كل هذه الحضارات وكل هذه الثقافات أساغتها اللغة العربية والحضارة العربية.

اللغة والمستقبل

وتتضمن اللغة العربية في أعطافها رؤيا مستقبلية، وهي لذلك من أكثر اللغات الإنسانية وعيًا بمقتضيات المستقبل وضروراته ويوضح ذلك احتفاء اللغة العربية بالمستقبل وصروفه على النحو الذي يجعلنا نذهب أن الوعي بالمستقبل ركن

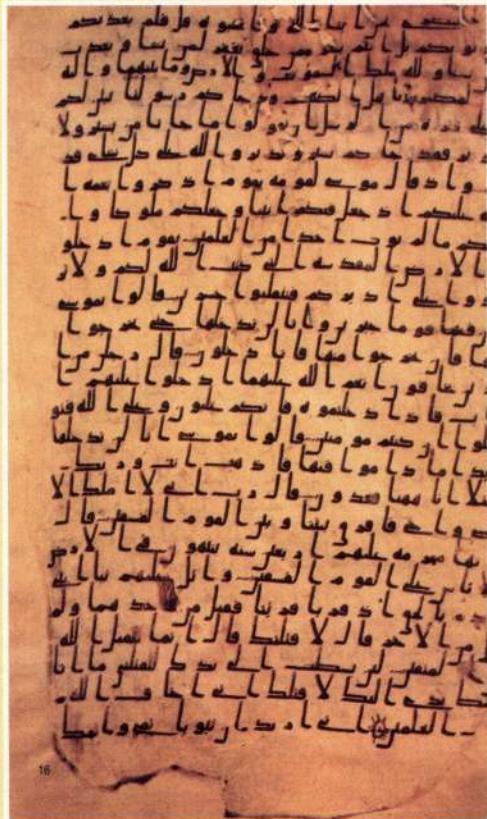
ما من قوم تتراءى صفاتهم
وصفات أوطانهم من كلماتهم
والفاظهم كما تتراءى أطوار
المجتمع العربي من مادة ألفاظه
ومفرداته.

قلب الشعب ينبع في لغته، إن روح الشعب تكمن في لغة الآباء والأجداد. ويؤكد الفيلسوف الألماني «فيخته» من بعد «هردر» في أوائل القرن التاسع عشر، أن اللغة والقومية، أمران متلازمان ومتعادلان، كما أن اللغة ترافق المرأة، وتحركه حتى أعمق أغوار تفكيره وإرادته. واللغة هي التي تجعل المجتمع متماساً يدبره عقل واحد، وأن الذين يتكلمون لغة واحدة يؤلفون من أنفسهم كتلة موحدة، ويرى أن الحدود الطبيعية بين الشعوب هي الحدود التي ترسمها اللغات وليس الحفر افياً.

واستاداً إلى ما مضى نجد أن أثر اللغة العربية في تشكيل هوية الأمة وتعزيز شخصيتها أعمق من أية لغة أخرى، وذلك لارتباطها بالدين والقرآن وحملها للتراث الفكري والشعوري والأخلاقي والديني العربي والإسلامي منذ الماضي البعيد. وقد انتشرت اللغة العربية بعد الإسلام وتكلم بها كثير من الشعوب، وأصبحت لغة الحديث إلى جانب اللغات الأخرى، بلأخذت اللغة العربية بعد انتشار القرآن الكريم في البلاد التي فتحت تسسيطر على اللغات الأخرى وتحل محلها وذلك لما تمتاز به من قوة الطبيعة والسحر الخاص الذي ينفذ إلى القلوب ويسطير على العقول ويستأثر بملكات الناس، إذ أصبحت لغة الحديث ولغة

اللغة أقوى عوامل الوحدة
والتضامن بين أهلها، ومن
أهم المركبات التي تستند إليها
تعزيز الهوية وبناء الشخصية.

أن اللغة هي على الأرجح أعظم القوى التي تجعل الفرد كائناً اجتماعياً. ومضمون هذا الرأي أمران: الأول أن اتصال الناس بعضهم ببعض في المجتمع البشري لا يتيسر حصوله من دون اللغة، والثاني أن وجود لغة مشتركة بين أفراد قوم أو أمة من شأنه أن يكون هو نفسه رمزاً ثابتاً فريداً للتضامن بين الأفراد المتكلمين بها. ولعل «هردر» العالم اللغوي في أواخر القرن الثامن عشر كان أول من نبه الأذهان في كتبه إلى علاقة اللغة بنفسية الأمة وشخصيتها وحياتها إذ يقول «إن اللغة القومية بمنزلة الوعاء الذي تتشكل به وتحفظ فيه، وتنقل بواسطته أفكار الشعب...» إن لغة الآباء والأجداد بمثابة مستودع لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين، إن



١٦

كلما تعمق المرء في اللغة العربية وعرف أسرارها وقواعدها زاد إحساسه وإدراكه بجمالها وببلغتها.

إلى ذاكرتها الوجدانية، كما بواسطتها تحافظ الأمة على بناء التراكيمية العلمية التي لا بد منها لتكوين أساسيات المعرفة واستمرارية ديمومتها وتطورها. وهي أيضاً الحصن الذي تحصن به الأمة والدرع الذي يقيها من الاستلاب والذوبان في الآخر. وستظل اللغة العربية العنوان البارز لشخصية الأمة والرافعة الراسخة، التي تحمل الهوية العربية بأمتياز وبخاصة في هذا العصر الذي تواجه فيه اللغة العربية بكل ثبات واقتدار تحديات غزو العولمة اللغوية.

أساسي في لغتنا العربية التي تعتبر الوعاء لعقل العرب والركيزة الأساسية في بروز الشخصية العربية وتعزيز هويتها. وستظل كذلك تتبوأ منزلتها الرفيعة ضمن أركان الهوية بعد أن استمالت إلى مفهوم سياسي وثقافي في الفكر العربي المعاصر وهو يخوض معركة الأنماط والأخر. وللغة العربية تكشف عن حضور الوعي بالهوية، فهي التي أعطت الأمة العربية هويتها وكانت خصوصيتها، فهي في طليعة اللغات المعاصرة بين لغات العالم الشرقي أو الغربي، فلا يعرف علماء اللغات لغة قوم ترثى لنا صفاتهم وصفات أوطانهم من كلماتهم وألفاظهم كما ترثى لنا أطوار المجتمع العربي من مادة ألفاظه ومفرداته في أسلوب الواقع وأسلوب المجاز. فهي من أهم الركائز التي يبني عليها معنار الهوية.

وخلاصة القول أن اللغة العربية هي العروة الوثقى التي تربط بين الأمة العربية وهويتها، وهي الحاضنة التي تمثل ذاكرة الأمة المعرفية بالإضافة



العروس حين تتحول إلى أعباء



ومن الملاحظ في الوقت الحالي أن تقديم العانية لم يعد كما في السابق، خاصة بعد أن انتقلت الأعراس من الخيمة في البر إلى صالات الأفراح وصالات الفنادق وغيرها من الأماكن حيث بدأت الناس تتقمي بالحضور والتهنئة بالزواج فقط دون إلزام بدفع شيء أو تقديم هدية. والقليل جداً من الناس الذين يحرصون على تقديم العانية خصوصاً إن كان العريس من الأهل ومن المقربين إلى الفرد جداً.

عطية العروس

العانية لا يقتصر تقديمها إلى العريس فقط بل هناك مبالغ مالية أخرى تقدم للعروس أيضاً من المقربين إليها والاختلاف هنا في المسمى فقط فالمبالغ المقدمة إلى العريس «عانية» أما المقدمة للعروس فيطلق عليها «عطية» وهي عادة تقل عن المبالغ المقدمة للرجل فلا تتعدي في الكثير من الأحيان ٢٠ ديناراً إذ إنها لا تخرج عن الإطار الناعم الأنثوي وغالباً ما تقدم في شكل «ديباج» فرش سرير ومثل عقود الذهب الثمينة والطعورات قبل العرس أو أثناءه. ولا شك أن ذلك زاد من ثقل الأعباء على جيب الرجل وأصبح حفل الزواج الواحد تقدم له عانيتان وليس واحدة عكس السابق. وأيضاً المتردف عليه أن العانية يتم تسجيلها في دفتر خاص أما العطية فلا يتم تسجيلها. ويظل هذا الدفتر في منزل العريس يقام بمراعاته كلما تلقى دعوة لزيارة عرس من الأعراس، فإذا ما وجد الداعي من المسجلين في هذا الدفتر فإنه يقوم برد العانية. ولكن ليس شرطاً أن تتوافق مع المبلغ ذاته فقد تزيد أو تقل الحالة المادية التي عليها مقدمها.

أضرار ومشاكل .. العانية

بعد أن تفاقمت أضرار العانية وجددت كثرة حفلات الزواج في الصيف المعاناة المادية التي تواجهها شريحة كبيرة من المواطنين جراء الالتزام بـ«العادنة» بين أبناء القبائل.

منعت القبائل تقديم بطاقات حفلات الزواج بين أفرادها والاكتفاء بالإعلان عن حفل الزواج من خلال الصحف، وذلك من أجل عدم الإلزام بالحضور والمشاركة.

يحتاج إليها ولم يشتراها وقد يحتاج إليها في منزله، وقد تصل العانية إلى أن تكون شيئاً في غرفة من الغرف التي يحتاج إليها الأزواج في منازلهم «نوم، سفرة، صالون». وهذا يتعدد وفقاً للمقدرة المالية التي عليها العاني.

وفي السابق كانت العانية مفتوحة للجميع، وكل شخص مطلق الحرية في تحديد قيمتها، باستثناء بعض القبائل التي لم تقم حتى الآن بتحديد «العادنة» ففي السابق لم تكن العانية تقل عن ٤٠ ديناراً وكانت الغالية تجأ إلى تقديم «الخراف» بدلاً من الدنانير، وكان البعض يقدم العانية من تقديم «الجمال» للتعبير عن حجم العلاقة التي تربطه بذوي العريس.

وكانت هناك قبائل تشرط دفعها نقداً وغالباً ما تكون مبالغ كبيرة من المال، وكان هذا يرهق الكثير من المواطنين الأمر الذي أدى إلى عقد اجتماعات داخل هذه القبائل وتم تحديدها بمبلغ أقل بحيث لا يرهق مقدمه ويتحقق الهدف المنشود من ورائها وهو إشاعة روح المودة والألفة بين الناس.

العادنة بين الماضي والحاضر

الكويت في السابق كانت دولة ذات دخل محدود، وكان أهلها لا يملكون إلا القليل من المال ورغم ذلك كانت العانية من الأشياء المحببة لديهم ولم يمنعهم الدخل المحدود من تقديمها إلى العرس في ليلة زفافه، وكان البدو والحضر متقدمين على تقديمها دون استثناء. وفي البداية كان يطلق على العانية اسم «قطية» وهي مبلغ من المال (روبية) ويكون وفق مقدرة الإنسان ويلقي بها في يد العريس.

أما اليوم فقد اختفت «القطية» والكثير من المواطنين بدأ في تقديم الهدايا العينية بدلاً من القطية وإن كانت هناك بعض القبائل تحرض على تقديم مبلغ من المال بحيث لا يتعدى ٥٠ ديناراً، والبعض الآخر يقدم ذبيحة خروفًا أو بعيراً، وقد يشارك مجموعة من الأهل في شراء الشاة المقدمة للعريس. وبصفة عامة الذي يحدد مبلغ العانية مقدرة الشخص ومكانته الاجتماعية، وكلما ارتفعت مكانة الشخص زادت قيمة المبلغ أو الهدية المقدمة.

العادنة.. سلوك اجتماعي تعaponi حضرت الشرعية الإسلامية على تعليمه بين أفراد المجتمع لمساعدة من يرغب في الزواج، وتعد من أهم المصادر المالية التي تعين العرس على سداد تكاليف حفل الزواج ومصاريف الإعداد له، وقد حث الإسلام على الهدية كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تهدوا وتحابوا» والتهادي سلوك يتبعه كثير من شعوب العالم.

قال تعالى «تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعداون». ولقد حرصت الشريعة الإسلامية كل الحرص على غرس روح المحبة بين أفراد المجتمع بصفة عامة، وبين الفرد وأسرته بصفة خاصة ومن بين الأشياء التي تزيد من روح التآلف والمحبة بين الناس وتنموي روابط الأخوة الإسلامية.. انطلاقاً من قوله تعالى «إنما المؤمنون إخوة» تلك الهبات والهدايا وأعمال البر التي تقتضيها الإنسانية، لأن الناس لا غنى لهم عن الاستعانة ببعضهم البعض، ومما لا شك فيه أيضاً أن سد حاجات الناس بعضهم بعضاً والإحسان إليهم من أنواع البر التي توثق الروابط وتمو بها الألفة وتأكد المودة، وهذا أمر مستحب في نظر الشريعة.

مفهوم العانية

هي أن تعين شخصاً لمواجهة أعباء تكاليف الزواج أي أن تتعاون معه بما ي足以 لتجاوز العائق الموجودة، وهي منتشرة منذ زمن طويل لدى القبائل في المجتمع الكويتي، وتعبر عن مبدأ التكافل والتعاون. وتحتفل العانية من شخص إلى آخر لأن الأخ أو القريب أو الصديق الخاص لأبد أن تكون «عانيته» معتبرة عن حجم العلاقة أو الصلة، بينما الآخرون العاديون لهم مطلق الحرية في تحديد حجم «العادنة».

عرف اجتماعي

وهذه من الأمور المحببة وتزيد من الود والمحبة بين الناس خاصة أنها تقدم في وقت يكون فيه العريس في الحاجة لمن يعاونه على تكاليف مصاريف العرس، ولذلك ليس شرطاً أن تقدم له ليلة الزفاف في صورة مبلغ من المال، فإذا كانت الصدقة أو القرابة التي ترتبط بين مقدم العانية والعرس قوية فإنه من الممكن أن يسأل العريس عن توافقه التي

الزفاف أو قبلها من تقدّم أو متاع أو نحو ذلك مما يعيشه على تكاليف الزواج، وهي أمر حسن لأنّه من قبيل الهدية التي حدث الشرع المطهر عليها بقوله - صلّى الله عليه وسلم - «تهدّوا تحابوا» وقد كان النبي - صلّى الله عليه وسلم - يهدّي ويقبل الهدية ويبحث عنها. كما أن العانية نوع من التكافل الاجتماعي بمساعدة المسلم على الزواج لتحقيق العفاف وتحصين نفسه وعمارة الأرض بالأسرة والذرية الصالحة ويرى أن بعض الممارسات المعاصرة لتقديم العانية قد انحرفت عن المعاني الكريمة والمقاصد السامية فأصبحت العانية واجباً اجتماعياً يتحمل من أخل به اللوم والعتب وربما المقاطعة الاجتماعية وغدت ديناً في ذمة العريس عليه أن يرد مثلاً أو أحسن منها لن قدمها له وأخذت العانية ترافق كاهل الأقارب والأصدقاء وزملاء العمل وغيرهم من يدعون لحضور الأعراس التي يمكن أن تكون أسبوعية وربما في بعض الأحيان يومية ومع ذلك فإنّ كثيراً من الشباب يبذل معظم راتبه للأخرين كعانيات مما أدى إلى دخوله في دوامة الديون والأقساط التي تقلّل كاهله.

- كثرة حفلات الزواج كشفت أضرارها وقبائل حددتها تحفيضاً على أبنائهما.
- أصبحت ترفاً ومزايدة وتضاعفت مبالغها ستة بعد أخرى.
- يرى بعض المواطنين أن قطع العانية سيختفي من مظاهر البذخ في حفلات الأعراس.
- انتقلت من كونها هدية تعبّر عن الحب والود بين المسلمين إلى معنى المعاوضة وانتظار المقابل.

ولقد انتقلت العانية من أن تكون هدية تحمل معاني الحب والود ونشر الخير بين المسلمين والتعاون على البر والتقوى، حتى صارت تحمل معنى المعاوضة وانتظار المقابل من الآخرين. ولا شك أن مقابلة الإحسان بمثله مكرمة وفضيلة ولكن لا يعني ذلك وجوب الإثابة على الهدية، لأنّ الأصل في الهدية أنها تبرع محض يقصد به وجه الله والمدار الآخرة فإيجاب الإثابة عليها خلاف هذا الأصل ولم ينقل عن النبي - صلّى الله عليه وسلم - أنه أمر أصحابه بذلك مع ندبه واستحبّابة للتهادي وكثرة ما وقع منهم إهداء.

وأن ما قام به بعض القبائل والأسر من إعلان عن اعتذارهم عن قبول العانية أمر حسن لقصد الشارع الكريم من مراعاة أحوال الناس وتخفيف الأعباء عنهم وغضّهم على البعد عن الديون والإسراع في أدائها والارتفاع بمفهوم العانية عن أن تكون ديناً أو عوضاً واجب الأداء كما هو واقع اليوم.

ويُنصح الشباب والأسر وأولياء الأمور بتخفيف أعباء الزواج من مغالاة في المهر ونفقات الأعراس ونحو ذلك من مبالغة وإسراف وتبذير مخالف للشرع المطهر ومرهق لميزانية الزوج وهو بلا شك عائق كبير أمام زواج كثير منهم، وهذا بلا شك له آثار سلبية كثيرة على الشباب وعلى المجتمع جملة.

بحاجة إلى عانياتهم، كما أن العانية كانت مقتصرة على الأقرباء وأبناء القبيلة وأحياناً بعض الجيران.

أما الآن فما أن تلتقي شخصاً في أي مكان حتّى يفاجئه بإرساله بطاقة دعوة إلى حفل زواجه لا تعود قيمتها الدينار لكنها تكلف دفع مبلغ لا يقل عن ٥٠ ديناراً كعانية.

لهذه الأساليب السابقة نرى بعض الأمور ذات الأهداف الحميدة في بلادنا تتحول إلى عادات يعمل بها إزاماً، يجبر عليها كل فرد من أفراد المجتمع، فقد تحول الهدف الرئيسي من «العانية» في الزواج إلى عادة إلزامية تدفع للمحتاج وغير المحتاج، وال قادر وغير القادر، وابتعد كثيراً عن جوهرها الذي اختفى تحت البهارة والبذخ.

تحديد «العانية .. والمهر»

حدّدت إحدى القبائل المهر بـ «٦٠ ألف دينار فقط وتحديد «العانية» ٢٠ ديناراً فقط وأن يكون حفل الزواج ليلاً واحدة فقط سواء للرجال والنساء، ورأت كذلك عدم إقامة أي حفل قبل أو بعد الزواج في خطوة لتقليل المصروف. فضلاً عن عدم جلب «الطلاقات» في حفل الزواج، وعدم التصوير بالفيديو في صالة النساء، وعدم تزيين الصالة بالكسوة لتكاليفها الباهظة. وتأتي هذه الخطوات التي اتفق عليها وجهاء القبيلة لرعاة ظروف أصحاب الدخل المحدود، وتخفيف العبء المادي عليهم إذ إن حفلات الزواج السابقة كانت تقام من دون تسيق، حيث تصل في بعض الأحيان إلى ٥ أو ٦ أعراس شهرياً. وهذا التوجه أصاب النجاح لأنّ أغلب أبناء القبيلة مقبلون على الزواج وأباءهم يعينون الآخرين منذ سنوات عدة ولذلك فإنّهم يطمّحون لإعانة الآخرين لهم.

رأي علم الاجتماع

يؤكد علم الاجتماع حسب رأي أستاذ علم الاجتماع في جامعة الكويت د. هادي مختار أن العانية نوع من أنواع التكافل الاجتماعي، وكانت تقدم على أساس المفهوم الديني والإنساني إلى الشباب الراغبين في الزواج، فيقدم لهم المال على شكل هبة للمساعدة في تكوين أسرة جديدة، ولكن مع مرور الزمن انحرفت العانية عن مضمونها الإنساني والديني وأخذت صورة التقليد الملزم للجميع، وبما أن التقليد دائماً تدعو إلى التفاخر بدأت مبالغ العانية تتضاعف حتى أصبحت شيئاً على من يمنحها ويتقاضاها.

بدأ بعض العقلاة بالتفكير في التوقف عن قبول العانية أو دفعها إلى الآخرين من منظوريين ديني واقتصادي،خصوصاً أنها فقدت مضمونها الديني الإنساني. وأصبحت تقليداً قليلاً يهدف إلى التفاخر إلى جانب تضاعف مبالغها أكثر من مرة، وتكرار دفعها في الأسبوع أكثر من مرات عدّة مما يكلف البعض مبالغ كبيرة جداً خلال الشهر الواحد، ويرهق كاهل رب الأسرة فكان القرار الصائب هو التوقف عن قبولها أو دفعها، لا سيما في ظل ارتفاع أسعار السلع والخدمات الاستهلاكية مع العودة إلى انتهاج سلوك معتدل في الإنفاق في كل أمور الحياة خصوصاً المتعلقة بالمهور وحفلات الزواج والكف عن التبذير والإسراف غير المبرر.

العانية شرعاً

وعن رأي الشّرعي في العانية يوضح الأستاذ بكلية الشريعة د. وليد الريبي أن العانية تعرف بأنّها ما يقدم للزوج ليلاً

قطع العانية

ولكن أمر العانية وصل إلى أكثر من ذلك في الآونة الأخيرة حتى بعد تحديد قيمتها إذ إن بعض العائلات التي تتمنى إلى قبائل معينة، أعلنت عن قطع العانية وعدم قبولها من الآخرين، والمفاجأة أن هذا التوجه حاز على رضا وقبول العوائل الأخرى من مختلف القبائل، بل أصبح حديثاً في الديوانيات من أجل الاقتداء بمثل هذا الموقف من «العانية». ويعتبر إعلان قطع العانية ملزماً لكل أفراد الأسر والعوائل المعلنة حتى وإن جاء على عكس رغبات بعضهم.

ولا تخلو جريدة إعلانية أو يومية في الفترة الأخيرة من إعلان إحدى القبائل عن اعتذارها عن عدم قبول «العانية» حيث أصبحت صدمة إعلانات قطع العانية شديدة إلى درجة أنها دفعت بعض المواطنين إلى مطالبة كل من قطع العانية مؤخراً بإعادة المبالغ التي حصل عليها كعانية إلى أصحابها، وعلى كل من ي يريدون قطع العانية حالياً الاستئذان على أقل تقدير، ومن قدموه إليهم العانيات من قبل، فعندما كانت تدفع لهم العانيات كانت سلوكاً اجتماعياً محبياً، فلماذا أصبحت إسراهاً وتبديراً عندما جاء دور عليهم لدفعها ما عليهم؟ حتى أصبح من الآن فصاعداً أن نعيد التفكير في حفل الزفاف، فنفك عن المبالغ الباهظة التي تصرف على المظاهر الكاذبة من أجل تقليل تكاليف الزواج والعيش في صفاء لا يذكره إعلان «الاعتذار عن قبول العانية» الذي أصبح ناقوس خطر يوّظ الشّباب من غفلتهم ويرى بعض المواطنين أن قطع العانية كفيل بتقليل البذخ المبالغ فيه في حفلات الأعراس من عدة جوانب أولها، قد يأتي اليوم الذي يكتفي فيه العرس بإقامة حفلة أو مأدبة عشاء في الديوانية لعدد صغير من أقربائه المقربين جداً منه وباقل التكاليف، فقد أصبح البعض يتزوج طمعاً في الحصول على مبالغ العانيات التي تصرف في إنفاق غير مبرر مثل تجهيز الصالات وآداب العشاء وجلب الفرق الشعبية وغيرها من التجهيزات التي قد تكون غير مهمة.

كما أن العانية أصبحت نوعاً من الترف والمزايدة بحيث بدأت مبالغها تتضاعف سنة بعد أخرى فعندما كانت مبالغ العانية لا تؤثر على ميزانية الأسرة وتعين الزوج وقضى حاجته كان الناس يقدمونها عن طيب خاطر، أما اليوم فمبالغ العانية تتضاعف مرات عدّة، وأصبحت ترهق كاهل رب الأسرة، فهل يعقل أن يدفع الفرد ٤٠٠ دينار إلى ٥٠٠ دينار كعانيات شهرياً؟

لقد كانت غايتها في السابق مديون لكنها الآن أخذت أبعاداً أخرى من الوجاهة وأحياناً العبث والإسراف. الشباب في الكويت قادر على تزوّج نفسه إذا أراد من دون أن يغرق نفسه في الديون بسبب بعض الكماليات غير الضرورية.

وحكومة الكويت تقدم مبلغ أربعة آلاف دينار كقرض المساعدة في حال الزواج نصفهم يقدم كهبة للزوجين، بالإضافة إلى أن الحكومة تقدم بدل الإيجار نقدياً للسكن إلى حين حصول الشاب على منزل خاص، وهناك أيضاً البنوك التي تقدم قروضاً استثمارية تمكن الشخص من الحصول على ضعف راتبه خمس مرات أو بالقدر الذي يمكنه أن يوفر حياة كريمة له ولعروسه إن تجنب الإنفاق غير المبرر.

وقد أصبح الشخص المتزوج يبالغ في الإنفاق على حفل زواجه مما يولد انطباعاً لدى الآخرين أن العرس لم يعد

قصـة قـصـيـرة

اللـيـوـمـ الـهـرـوـعـوـدـ

الصمت الغريب الزاحف يقض مضاجع الليل، ويسدل ستائر الخوف فوق تلك البقعة النائية المنسية

من قرية «العليق»، إنها الليلة الأخيرة التي يمضيها «عبد الأشقر» وحيداً بعد إنجاز مهمته، غير مكترث

بالظلام الموحش الذي يقتات المكان، لا يؤنس وحدته سوى وجه «لياء» الحاضر الغائب، وقنديل يتيم

يوشك زيته على النفاد، فيعكس ضوءه الخافت أشباحاً تتراقص على جدران ذلك المبنى الصخري القديم،

كأنها تحاصره، أو تحاوره، أو تتحداه، ويتناثر إلى سمعه أصوات نعيق، وعواء، وأنين، فيورق الليل

غموضاً ورعبـةـ.

كانه قادم من من حكايا الأساطير الموجلة في القدم، هكذا بدا «عبد الأشقر» وهو يحدق في الأشياء التي تسكنه، ويسكنها، يكاد يستنطقها، يود لو تشاركه وحده وقلقه وبحثه عن أمل ضائع، ضل طريقه إليه، أو تساقط كأوراق شجرة خريفية فوق أرصفة الزمن، في عالم مشوب بالشقاء مورق بالتعجب. منذ أن شرع عبد في إنجاز مهمته «الحلم» وهو دائم الحديث مع ذاته، يعاقبها مرة، ويعاتبها مرة، ويسائلها مرارا.

ما الذي يجعله أسيراً لا يفك قيده؟ ولماذا تغلق الأبواب في وجهه في الحل والترحال؟ ولماذا لا تتركه الدنيا في حالة، وتبث هكذا بعمره وتصوب فوهة بركانها الغاضب نحوه، في كل مرة أراد فيها أن يكون أو لا يكون؟

الأسئلة الحائرة تظل مشتعلة في أعماقه منذ أن رده الحنين الجارف إلى وطنه وقريته، بعد غياب قسري طال، ومن يومها لم يستطع تجاوز تهمة الفشل التي تلاهقة ولا تجاهل ما ي قوله الناس عنه أينما حل وكيفما اتجه وشباب الحرارة «التحتها» في قرية «العليق» أدروا له ظهورهم ومنحوا وجههم للنسىان؛ وبناتها اللواتي كن هائمات به إعجاباً وحبـاً حولـنـ أـنـظـارـهـنـ عنـهـ، وـماـ عـادـ بـالـنـسـبـةـ إـلـيـهـنـ ذلكـ الـحـلـ الجـمـيلـ، الـذـيـ يـجيـءـ مـمـتـطـيـاـ جـوـادـهـ الأـبـيـضـ لـيـدـاعـبـ خـيـالـهـنـ، وـيـلـهـبـ مـشـاعـرـهـنـ، وـهـنـ الـلـوـاتـيـ كـنـ يـطـمـحـنـ إـلـىـ مجـرـدـ نـظـرـ حـانـيـةـ منـ عـيـنـيهـ الدـافـئـتـينـ، أوـ اـبـسـامـةـ مـوـحـيـةـ سـقـطـ كـعـبـاتـ النـدـىـ فـوـقـ جـفـافـ أـيـامـهـنـ، أوـ كـلـمـةـ مـعـبرـةـ مـشـحـونـةـ بماـ يـجـيـشـ فيـ صـدـرـهـ قدـ تـعـشـ آـمـالـهـنـ بـالـزـوـاجـ منهـ، بـيـنـماـ لـمـ تـجـرـؤـ «ـلـيـاءـ» عـلـىـ الـبـوـحـ بـمـاـ يـتـأـجـجـ فيـ صـدـرـهـاـ منـ غـضـبـ، أوـ عـتـبـ، فـاخـتـارـتـ الصـمـتـ حاجـزاـ أـمـيـناـ بـيـنـهـاـ، وـبـيـنـهـ، لـتـرـكـ إـلـيـهـ اـنـتـظـارـاـ وـشـوـقـاـ!

وامتنع عبد عن نبش ذكرياته بحلوها ومرها، وأقبل دونها كل الأبواب المؤدية إلى دهاليز ذاته، وحاول إقناع أمه بالتوقف عن الإلحاح بضرورة الزواج قبل أن يفوته القطار، ونجح بعض الوقت، فاكتفت الأم مرغمة بالحلم في أن تراه غريساً قبل أن تموت، وكف صوتها المسافر إلى الرجاء عن الاستعانة بالجدة لتقريب البعيد، وتوجيه اللوم أو النصيحة وتحقيق المراد.

٣٨٠

ما كان «عبد» قد تعرف إلى وجه أبيه أو جده إلا من حكايا أمه وجدته عنهم منذ أن وقعا في مصيدة

الغياب الآئمة مثل كثرين غيرهم من رجال القرية، وما رغب عبد أن يصبح واحداً منهم، لو لا إصرار أمه عليه بالسعى وراء الرزق أينما كان، والصور الزاهية التي اقتحمت مخيلته عن نعيم السفر، ما ليثت أن تداعت وخفت ذهونها في أولى سنوات غيابه وما نجح في تكوين الشروق التي يسيل لها لعب صبايا القرية وأهاليها، ولم تتمر محاولات الأب والجد، ولا توصلات الأم والجدة، ولا رسائل لمياء في ثنيه عن رغبته بالعود إلى الوطن.

٣٨١

ما كان «عبد» يشبه أباً لا في الطبيع ولا في التطبع، ومع ذلك ظل وفيا له ولوصاياه، فلم يبع الأرض التي يمتلكها وأصر على استكمال ما بدأه الجد في أربعينيات القرن الماضي وإنجاز المقهى التراشى الذي كان يحلم به، فهدم الأرض هي الكنز الثمين الذي يشق عبره الطريق الوعر والشاق إلى الحياة والنجاح وقلوب الناس وعقلهم .. وما أن علم أهل القرية بما ينوي عبد فعله، حتى تعالت أصواتهم وانتقادتهم وسخريتهم منه ومن مشروعه الذي يولد في زمن غير زمانه، ومكان غير مكانه، وهب بعض تجار العقارات وسماسرتها ممن يشترون الأراضي بأسعار بخسة لإقناعه بالتخلي عن أفكاره البالية استعداداً لشراء الأرض، مهما كان الثمن لكن محاولاتهم ذهبت أدراج الرياح مما جعلهم يتساءلون بغبط وحنق: لماذا يصر عبد هذا على الفشل وارتكاب الأخطاء ورفض النعمة التي هبّت عليه فجأة، وهي يمكن لعاقل أن يقيم مقهى شعبياً في مكان موحش كهذا؟، هل يريد هذا الأبله أن يعيتنا إلى عصر ألف ليلة وليلة وإلى أيام جدنا شهريار وجدتنا شهرزاد؟ أم أنه يريد أن يتقمص شخصية جده الحكمي عقيل الأشقر؟

وماذا سيعطيه هذا المشروع من مردود مادي أو معنوي في عصر العلم والتكنولوجيا والإنترنت والليزر، هل سيعيش على مواسم قطف الزيتون، أم أنه سيقضي لياليه محدثاً نفسه كالمعتوه، على أضواء شموع باكية، أو قناديل خائفة في ليل يوغل ربما في ديار غير العتمة؟ وعلى من سيحصل حكاياته يا ترى؟ وأهل القرية يندسون في فراشهم عند حافة الليل أو يرثون حكاياتهم عند أبواب المساء، ماذا سيفعل عبد هذا بمفردته إذا هاجمته الذئاب أو الأفاعي والأشباح؟ هل سيواجهه هؤلاء بألوانه الزيتية وإزميه العتيق؟ سوف ننتظر ونرى!

٣٨٢

أنفاس الليل اللاهثة خلف خيوط الفجر تكاد تسمع في أرجاء المكان الذي حوله عبد بإبرادة وعزيمة إلى قلعة من الإبداع المنحوت في الصخر راسماً فوق حجارتها العنيدة أحلاماً وطموحات وأمنيات بانتظار الغد الذي سينقله من الشقاء إلى الراحة، ومن الخيبة إلى النجاح، ومن الظلم إلى النور.

كان عبد لا يزال يعدي في الأشياء من حوله يحدثها أو ينaggiها بينما تتلاشى أصوات الأصوات الناعمة والعاوية والآلة ليتصحها السكون ويسلم القنديل المتعب أمانته إلى الضوء المتسلل بحذر من النوافذ والأبواب ويرتاح وجه مليء في أعماقه بعد طول عناء وسهر، ويرحل الصمت التقيّل محلّفاً وراءه أحاناً خالدة تعزفها العصافير والجداول وأوراق الشجر.

٣٨٣

يتزع عبد نفسه من نفسه ليتأمل المكان الحلم الذي ينتصب أمامه بشموخ وكبراء وتشكل ألوانه ولوحاته التي ابتدعها فوق الجدران والمقداد والأرائك وجذوع الأشجار والصخور المحیطة به سيمقونية تراثية تطرب لها الأسماع وتسعد بها العيون.

يكاد يرى الدنيا تبسم في وجهه بعد طول تحفهم وعبوس، وتعلن حكمها العادل ببراءته من كل اتهام، والوجه التي أحبها وأحبته تفتح أمامه كأزهار الربيع مشرقة ومبتهجة ومتالقة، كأنها جاءت تهنئه وتحتفي به وتحيط بدائره من الحب، والحنان، والرجاء، والصبر، والحكمة، والانتظار، بينما تترجج أسرار وجهه جده الغائب - الحاضر الذي يبدد بحضوره الآمن وحشة المكان.

٣٨٤

في هذه الأثناء كانت الشمس العائدة بعد غياب ترسل أشعتها الحانية لترتمي بشوق في أحضان الطبيعة المفاجأة ليندق الصبح شهياً على مائدة النهار.

٣٨٥

كتابات في تاريخ

د. عبدالله الجسمي

رموزه وضعوا لبنتات التحديث الأولى في البلاد

بيت

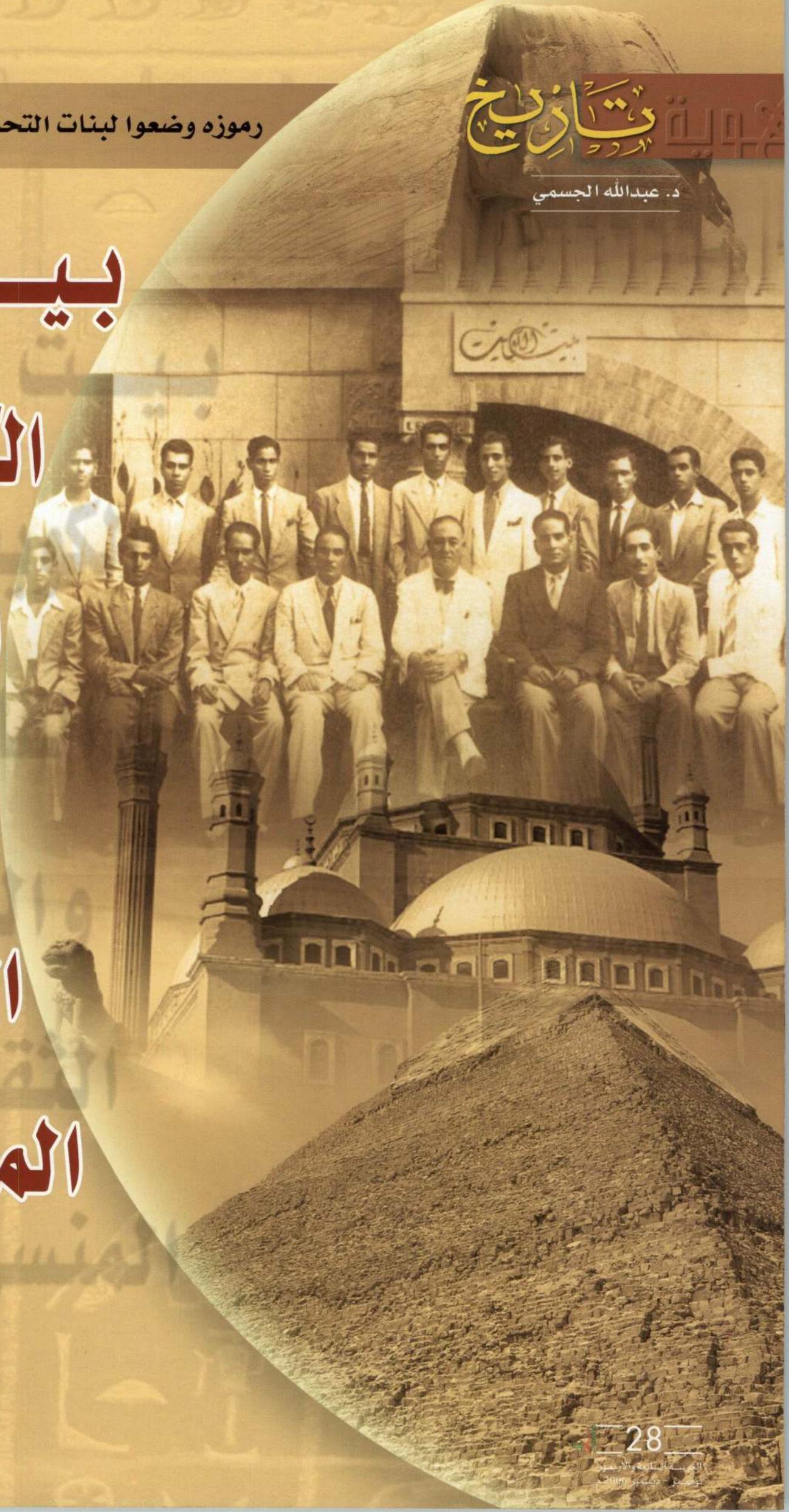
الكويت في

القاهرة

والدور

الثقافي

المensis



لم يكن البيت للسكن فحسب بل كان مركزاً إشعاع ثقافي شهد الكثير من الندوات لرموز الفكر والأدب المصري كالعقاد وهيكل والشرباصي والشيخ دراز.

في الوقت الذي غالب فيه الطابع السياسي على المبتعثين للدراسة في العراق ولبنان، غالب الطابع الفكري والثقافي والأدبي على معظم الذين درسوا في مصر.

عبد العزيز حسين وأحمد العدوانى وحمد الرجيب وعبد الله الانصارى من أهم رموز (البيت) الذين كانت لهم إسهامات بارزة في الكويت.

رغم مرور أكثر من نصف قرن على (بيت الكويت في القاهرة) إلا أن وهج إشعاعه التوسيعى ما زال ساطعاً في مختلف مناحي الحياة الثقافية والعلمية في دولة الكويت، فما نكاد نتحرى أسباب بزوغ هذا الجانب الثقافي الحضاري أو ذلك حتى نفاجأ بأن وراءها رمزاً من رموز ذلك البيت العظيم، الذي شكل بحق الأرضية الصلبة لانطلاق مسيرة الثقافة في الكويت. إلا أن ما يدعو للأسى، ذلك الغياب المخجل للدراسات التي تبحث في المؤثرات والعوامل، التي ساهمت في تكوين تلك النخبة، والتي لا يزال عدده من أفرادها - أمد الله في أعمارهم - بين ظهرانينا أحياه يرزقون!!

لما جاء ذكر (بيت الكويت في القاهرة)، سواء أثناء تصفح الصحف والمجلات، أو عند مشاهدة التلفاز، أو السماع أو القراءة عن أحد الرموز الأدبية والثقافية في الكويت ومن أنھوا تعليمهم في مصر، وكانوا من المجاميع الأولى التي ذهبت للدراسة هناك، تمتزج المشاعر والأحساس بالاعتزاز والأسى معاً.



عبد العزيز حسين

فالشعور بالاعتزاز نابع من كون تلك المجاميع عادت وأصبحت رموزاً ثقافية وأدبية لعبت دوراً هاماً في إنشاء الكويت الحديثة، خصوصاً الجانب التعليمي منها، والجانبين الثقافي والإداري بشكل عام، فقد تقلد العديد منهم مناصب قيادية هامة، وساهموا بشكل فعال في عملية التحول من المجتمع القديم البسيط إلى وضع اللبنات الأولى في تأسيس الكويت الحديثة، عبر بناء مؤسسات المجتمع المدني المختلفة.

أما الشعور بالأسى فيأتي من عدم إعطاء ما تم خلال فترة دراسة هؤلاء في (بيت الكويت بالقاهرة) الاهتمام والدراسة الكافيين لبيان العوامل والمؤثرات، التي ساهمت في تكوين تلك النخبة من أبناء الكويت آنذاك، والتي تغربت من أجل العلم، وتميزت بعقلية منفتحة ومستنيرة رسخت وجودها وأفكارها تلك في المجتمع الكويتي وثقافته.

العربي فمنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر تأثرت الحركة الثقافية المحلية، على الرغم من محدوديتها وقلة عناصرها الفاعلة، بحركة الإصلاح الديني التي ذاع صيتها في الدول العربية وبعض الدول الإسلامية. وأبرز رموزها جمال الدين الأفغاني وعبد الرحمن الكواكبي والشيخ محمد عبد الله وعبد العزيز الشعالي، وغيرهم من الرموز الدينية الإصلاحية المؤثرة، التي وصل بعضها للكويت وكان على اتصال مع أبرز مثقفي تلك الفترة أمثال الشيخ يوسف بن عيسى القناعي والشيخ عبد العزيز الرشيد اللذين يعتبران أبرز من يمثل تلك الفترة.

ولكن ما أن انهارت الإمبراطورية العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى وبرزت الحركة القومية العربية، وما جاء

على الرغم من إعادة طباعة أعداد مجلة (البعثة) منذ أعوام قليلة إلا أن الاهتمام بتدوين نشاطات تلك النخبة والبحث في المؤثرات الثقافية والفكرية التي صاغت عقليتها اهتمام لا يذكر، فالدراسات في هذا المجال شحيحة تقريباً إن لم تكن معودمة تماماً، لإغفال هذه الفترة الهامة من قبل المهتمين بالشأن الثقافي المحلي يحتاج إلى إعادة نظر خصوصاً وأن بعض من الرواد الذين درسوا هناك ما زال على قيد الحياة ويمكن الاستفادة منه لحفظ المعلومات المتبقية عن هذه الفترة بعد ضياع الكثير منها بسبب الوفاة أو النسيان.

بداية التحولات الثقافية

وسنحاول في هذا المقال تحديد بعض جوانب الأهمية التي تستدعي الدراسة، أو الحفاظ على ما شهدته في تلك الفترة الشباب الكويتي الذي سافر لطلب العلم، وتأثيره لاحقاً على مسيرة المجتمع الثقافية والفكرية. فلو تم النظر في المسيرة الثقافية في المجتمع الكويتي سنجد بأنها تأثرت إيجابياً بالتطورات التي حدثت في الوطن



• عدم الاهتمام بدراسة العوامل المؤثرات التي ساهمت في تكوين تلك النخبة من أبناء الكويت يثير الأسى .. ويفرض إعادة النظر.

• تأثر الكثير من الطلاب بالحركة القومية العربية سياسياً وثقافياً، ومثلت عودتهم للكويت انطلاقة للفكر القومي العربي والثقافة التنموية التي تزامنت معه.

معها من أفكار توبيرية وثقافية حتى حدث تحول في الواقع الثقافي والسياسي العربي، وخاضت القوى القومية والنيرة صراعاً ضد الاستعمار، فألهبت حماس ومشاعر الشباب العربي من محيطه إلى خليجه.

وعلى الرغم من كون منطقة الخليج العربي بعيدة عن مناطق الصراع الساخنة، والاستعمار المباشر في منطقة الشرق الأوسط، إلا أن شغف الشباب الكويتي بمتابعة ما يجري في الوطن

العربي كان كبيراً وتجلت الروح القومية في معظمهم، فقد شكلت نهاية العقد الثالث من القرن العشرين بداية للتحولات الثقافية المحلية عندما بدأ بإرسال البعثات الدراسية للدراسة بالخارج، أي في عدد من الدول العربية منها العراق ومصر ولبنان ومع بداية البعثات الأولى تأثر الكثير من الدارسين بالحركة القومية العربية، سياسياً وثقافياً، ومثلت عودتهم للكويت انطلاقة للفكر القومي العربي والثقافة التوبيرية التي تزامنت معه.

بين الثقافة والسياسة

من هنا تأتي أهمية بيت الكويت بالقاهرة، فعلى الرغم من دراسة عدد من قيادات العمل القومي في بغداد، أو في بيروت كالدكتور أحمد الخطيب، أحد مؤسسي حركة القوميين العرب، إلا أن العدد الأكبر من المبعوثين كان في القاهرة التي كانت آنذاك مركز إشعاع ثقافي وفني وفكري وسياسي وفي حين غلب الطابع السياسي على من ابتعث للعراق أو لبنان، غلب الطابع الفكري والثقافي والأدبي على معظم الذين درسوا بالقاهرة.

في بيت الكويت بالقاهرة لم يكن يقطنه الطلبة الكويتيون كسكن فقط، بل كان مركز إشعاع ثقافي لشباب متطلع لنهل العلم والمعرفة والتزود بالثقافة والاحتراك برموزها، الذين

وقد عدد المرحوم عبد العزيز عبدالله الصرعاوي في حديث سابق لكاتب المقال عدداً من الشخصيات، التي إما كانت تتربّد على بيت الكويت، أو يحرص الطلبة على حضور ندواتها وهي: الأستاذ عباس محمود العقاد، ومكرم عبيد، وإبراهيم عبد العال باشا، ود. محمد حسنين هيكل، والشيخ دراز - شيخ الأزهر آنذاك، والأستاذ أحمد الشرباصي، وأحمد أمين ومحمد فريد وكذلك د. ذكي مبارك الذي أقام عدّة ندوات في البيت.

ومن جانب آخر كان معظم الشباب يتبعون المجالات الثقافية وعدداً من الصحف مثل مجلة (الرسالة) التي كانت تعدّ منارة للثقافة والأدب، وكذلك مجلة (الثقافة) بكتابها أمثال د. أحمد أمين، ومحمد مندور، ود. طه حسين، وسلامة موسى، ود. أحمد زكي. إضافة إلى متابعة نتاج الأدباء مثل توفيق الحكيم، وإبراهيم عبد القادر المازني، والشاعر علي الجارم، والكاتب أحمد الصاوي ومحمد ذكي عبد القادر، أما بالنسبة للصحافيين فقدحظي فكري أباظة، ومحمد التابعي وعلى ومصطفى أمين بأهمية خاصة عند العديد من الطلبة الكويتيين.

من الواضح إذن بأن طلبة الكويت آنذاك جمعوا ما بين العلم والثقافة وتابعوا باهتمام كتابات خيرة المفكرين والسياسيين والمتقين والأدباء في

عبد الله ذكري الأنصاري





حمد الرجيب

رابعاً: الاطلاع على نتاج الرموز الثقافية والأدبية المحلية وتبين مدى تأثيرهم بما كان سائداً هناك، سواء من خلال إبداعاتهم التي كتبوها في مصر ونشروها في أعداد مجلة «البعثة» أو بعد عودتهم إلى الكويت.

خامساً: جمع المعلومات التي يمكن أن تفيد في دراسة مساهمات هذه الشخصيات الفكرية والأدبية سواء من مازال على قيد الحياة منهم أو عن طريق أقارب للذين رحلوا عن دنيانا.

هذه بعض النقاط التي يمكن أن تساهم بإجراء دراسات أو أبحاث حول حلقة هامة من حلقات مسيرة الثقافة في المجتمع الكويتي لما لها من أثر هام فيها، والخوف كل الخوف أن يطوي النسيان هذه الصفحة الهامة مثلاً ما طويت صفحات أخرى.

بيت الكويت بالقاهرة»، فقد ساهم في وضع أسس الحركة المسرحية الكويتية وإنشاء الفرق والمسارح في الكويت وتشجيعها، علاوة على دوره كموسيقي بالحانه وموسيقار المجددة. وهناك عدد من الأدباء والشعراء الذين أثروا الحركة الأدبية المحلية بنتاجهم الشعري والأدبي مثل المرحوم الشاعر أحمد مشاري العدواني والأخوين الأديبين فاضل خلف وعبد الله خلف والأديب عبدالله زكريا الأنصارى، الذي عمل إدارياً في بيت الكويت بالقاهرة وترأس تحرير مجلة البعثة، وغيرهم كثير من الكتاب الصحفيين الذين ساهموا في إثراء الحركة الثقافية والنقابية أمثال عبد العزيز عبدالله الصرعاوي وعبد الله أحمد حسين وغيرهم..

خطوات للتوضيح

اليوم وبعد أن غيب الموت الكثير من تلقوا تعليمهم في القاهرة، وكانت لهم بصمات هامة في تاريخ الكويت الثقافي يغدو الحفاظ على ما تبقى من معلومات حول بيت الكويت بالقاهرة ضرورة لابد منها من أجل تكوين مادة تاريخية ومعلوماتية تفيد في إجراء أبحاث ودراسات حول الرموز الثقافية العربية والمحلية، التي ساهمت في إثراء الحركة الثقافية العربية والفكرية الكويتية، ويمكن تحديد بعض النقاط عليها تقييد المهتمين في هذا الأمر مثل:

أولاً: تحديد الرموز الثقافية والأدبية العربية التي مارست تأثيراً كبيراً على الطلبة الكويتيين، عبر دراسة نتاجها الفكري والثقافي والأدبي، والبحث في الموضوعات التي أثرت عليهم بشكل واضح.

ثانياً: البحث في السيرة الذاتية للعديد من هذه الرموز وتبين أبرز الشخصيات التي تأثرت بها.

ثالثاً: تحديد الموضوعات الفكرية والثقافية التي كانت سائدة في الجو الثقافي بمصر في تلك الفترة ومدى استجابة الطلبة الكويتيين لها.

مصر، الذين تركوا بدون شك أثراً كبيراً في فكر ونفوس هؤلاء الطلبة. وقد تمت ترجمة ذلك فعلياً عندما عاد الكثير منهم إلى الكويت.

و قبل الإشارة إلى بعض الأمور التي قام بها نفر من هؤلاء لابد من التأكيد على أن معظم من درس بالقاهرة كانت اهتماماته ثقافية وفكرية، أكثر منها سياسية، وهناك من اهتم بالأدب بشتى صروفاته من الشعر والقصة والمسرح والفن، وخصوصاً الموسيقى، علاوة على الفكر المستثير وتقليل الجانب العقلي في النظر لأمور الواقع، وبهذا اختلف هؤلاء عن من درس في الدول الأخرى، الذين غلبت عليهم الاهتمامات السياسية والأيديولوجية علمًا بأن ذلك لا يعني غياب الاهتمامات السياسية عند من درس بالقاهرة.

رموز التنوير

لقد أصبح بعض من عاد، خصوصاً من القاهرة، رموزاً للعمل الثقافي في الكويت، وهناك العديد من الشخصيات التي تركت أثراً لا يمكن نسيانه في مسيرة الكويت الثقافية، مثل المرحوم عبد العزيز حسين وأحمد مشاري العدواني اللذين لعبا دوراً كبيراً في التعليم ونشر الثقافة المستبررة ذات البعد العربي.

وقد توج نشاطهما الثقافي بإنشاء المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، والذي يعد واجهة حضارية للكويت، حيث لايزال يصدر مطبوعات ثقافية وفكرية تشكل إحدى روافد الحركة الثقافية العربية منذ إنشائه وحتى اليوم.

وتتجدر الإشارة أيضاً إلى أن تقلد المرحوم عبد العزيز حسين منصب مدير المعارف، أي التعليم، ساهم في التوسيع في التعليم وتجديد مناهجه وربطها بالتطورات الحديثة.

ومن الشخصيات الأخرى المرحوم حمد الرجيب، والذي لم يكن طالباً بل لربما كان إدارياً في

الهُوَّةُ تَبَاهِي عَالَمَ الْمُتَعَجِّلِ

ملاك نصر

الهُوَّةُ فِي مُواجهَةِ الشَّبَابِ

يبحث عن ذات في العلامات التجارية



عصرنا هذا قد جاء ليغير من مفهوم الموضة، عندما ربها - من خلال عالم الدعاية والإعلان - بقيمة الشخصية والإنسان والجمال والتعبير عن الذوق الشخصي.

الموضة كانت كذلك حكراً على الطبقات الراقية فقط في الماضي، وبحكم قدرة تلك الطبقات على الشراء للأحدث والأغلى والأرقى تصميماً. لكنها صارت الآن، ملكاً لجميع الناس والطبقات، لأن الموضة صارت تضم جميع قطاعات المجتمع، للأغنياء والفقراء على حد سواء. بل إن أرقى بيوت الأزياء العالمية صارت تعاني من التقليد المستمر لخطوط تصميماتها في الصين ودول شرق آسيا والعالم الثالث .. وصارت ماركات عالمية كبرى بخطوطها وמודيلاتها نفسها موجودة بأرخص الأسعار في المحال والدكاكين التي تستقبل الفقراء!

وهكذا صارت الموضة، الآن، ثورة ليست فقط للجسد، بل للشخصية، وليس فقط للأغنياء بل للقراء أيضاً لقد صارت أيضاً ثورة في «الجمال الشائع».

والملابس والأزياء التي نرتديها، خاصة في مجتمعنا العربي التي كثيراً ما تحاول الآن البحث عن هوية لها!

الآن متخصصة في علاقة الثقافة بالموضة، مثل مطبوعة «نظرية الموضة» بإنجلترا، والتي تعرف نفسها بالشعار: «جريدة الملابس والجسد والثقافة».

لكن «الموضة» يتوقف معناها على الظروف المحيطة بها في المجتمع والناس، فهي تتغير في مفهومها ومعناها حسب تغيير الظروف، لذلك، فإن الموضة ربما تكون في نظر الجيل القديم «تقليعات» أو «صراخات» غريبة تصرع الذوق السليم والهوية لدى الجيل الجديد من الشباب، ولكنها، أي الموضة، تعتبر في الزمن نفسه والمجتمع نفسه بالنسبة إلى الشباب والجيل تعبيراً بل هي أعلى تعبيراً عن الشخصية والهوية!

ورغم بقاء الموضة خلال المائتي عام الماضية - كي يؤكد الخبراء - حكراً على النساء فقط، حيث كان الرجال يزكي موحد دائماً (البدلة أو الجلباب)، إلا أن الموقف قد تغير كثيراً الآن، حيث صار الاهتمام والتركيز من صناع الموضة والأزياء موزعاً بين النساء والرجال!

وقد كانت الموضة موضع ازدراء من المفكرين وال فلاسفة ورجال الدين، بحكم أنها تعامل مع الجسد فقط وتكشف عنه أحياناً كثيرة، فهي شيء غير بريء .. لكن

• ربما يعرف البعض «الهوية» بالقول: «هويتي .. هي أنا» .. ولكن التعريف الآتي الآمن من عالم الشباب هو: هويتي هي ملابس الكاجوال .. لغتي على الانترنت .. موسيقاي الصاحبة .. أغاني المصورة .. صوري على النقال .. مسلسلاتي التلفازية .. برامجي التلفازية الواقعية .. سيارتي .. نجومي المفضلة .. هذا هو ما يشكل الآن الهوية الشبابية داخل بلاد العرب .. فالهوية للشباب ليست مفهوماً مجرداً لا يعرفه ولا يهتم بمعرفته .. بل هي أسلوب حياة (Lifestyle) يعيشها يوماً بيوم.

ثورة للجسد والشخصية

الملابس هي أكثر الأشياء حميمية لدينا .. هكذا تؤكد عالمة الاجتماع والتاريخ «فاليري ستيل» في دراستها عن الموضة، وهي رئيس «معهد دراسات الموضة» بالولايات المتحدة الأمريكية.

فالملابس تحدد بشكل كبير الهوية الشخصية. أو كما نسمع لها بذلك، وما الموضة سوى نظام يحدد كثيراً من الميول والاتجاهات لدينا، خاصة الشباب. بل إن الموضة، كما تؤكد «فاليري ستيل» لم تعد في صفحات المجلات والأزياء، بل صارت تفتح نوافذ على فهمنا للتاريخ وعلم النفس والشعوب والثقافات .. بل إن هناك مطبوعات

الاعتراضات الغريبة عن الموضة الغربية، يأتي الكاتب الصحافي الفرنسي «نيكولاوس دورنليس» الذي يكتب افتتاحية مجلة «دام فيجارو» الفرنسية.

حيث كتب ذات يوم قائلاً: «اعتقد ان اصدقائي، وعلى الرغم من عمري الثلاثيني، يرون أنه تتضمن سوى العصا والجلوس على مقاعد من الحرير، لأن أصبح شيئاً هرماً، وصحيف أنني إنسان عملني ولا أهتم كثيراً بأمور الحياة العامة التي يعيشها المجتمع



في قيمه الساكنة قلبه، والجيل الثاني هوبيه في مظهره وجسده الذي قيمته فقط حسب توافقه مع حظوظ الموضة والعصر.

اعتراضات .. من القرون الوسطى!

ضمن الاعتراضات الكثيرة على ما وصلت إليه لموضة الشبايبة تأتي اعتراضات الغرب نفسه مبدع تلك الموضة لأنها القضية صارت عامة ويخطئ من يظن أن الشرق وحده يعني من تمادي الحدود الأخلاقية والاجتماعية في ملابس الشباب .. وكنموذج لهذه

كانت الموضة موضع ازدراء من المفكرين وال فلاسفة ورجال الدين لتعاملها مع الجسد.
الهوية للشباب ليست مفهوماً مجرداً لكنها أسلوب حياة يعيشها يوماً بيوم.
عصرنا غير من مفهوم الموضة فربطها عبر الدعاية والإعلان بقيمة الشخصية والإنسان وذوقه الخاص.

الإعلام إلى ان يتطلبوا من الإعلاميات ارتداء الأحذية الرياضية تسهيلاً لهم .. وهناك من قالت من الإعلاميات بالمنتدى نفسه قولاً له مفزى في تناولنا هنا قضية الموضة الشبابية والهوية عندما صرحت بعد أن استبدلت بالحذاء الأسود العالي والتوررة حداء لي چوال وچينز «أحببت أن أكتسح أول يوم، وبعد ذلك ارتديت الجينز».

وهنا من تأتي إلى الصراع والانقسام بين أسلوبين في الحياة اليومية، أسلوب يمثله الجيل السابق وهو «الكلاسيكي» بمنظره وملابسه، وأسلوب آخر يمثله الجيل الحالي وهو «الكافاجوال» (أي: العلمي المستخدم دائمًا) .. الأول له تقاليده والثاني له قوانينه في الاستمتاع بالحياة .. الأول يحرّم كلّاً وكذا .. والثاني يستتبع أي أسلوب في الموضة حسب هواه .. الأول يعطي قيمة بالجسد (الاحترام والوقار والغفلة في الملبس) .. والثاني متجرّ في التعامل مع جسده، لأنّه يعتبره هوبيته الحقيقة .. الجيل الأول هوبيته

وهي المجتمعات التي تستقبل كل شيء من الغرب، من الموضة في الملابس، إلى الموضة في الأفكار والنظريات والثقافة - خاصة القطاع الأوسع من المجتمعات العربية، ألا وهو الشباب، الذي يشكل الآن حوالي ٧٠٪ من تعداد الوطن العربي؟

«بوما» والملابس الرسمية العربية؟
هل هناك علاقة بين الأحذية الرياضية ماركة «بوما» Puma الشهيرة واليابسات البيضاء والملابس الرسمية في وطننا العربي؟

لا شك أنه ليس ثمة علاقة من أي نوع بين الملابس الرسمية والحذاء الرياضي، لكن شباب اليوم استطاع ان يقتتحم بموضته وملابساته الكافاجوال هذا الأمر .. عندما حدث ذلك في المنتدى الاقتصادي السابع المنعقد في جدة بالمملكة العربية السعودية أوائل هذا العام، وقد نشرت هذا الخبر أو الخبر جريدة الشرق الأوسط» وما حدث هو أنه في الوقت الذي كان فيه الحاضرون لهذا المنتدى الجاد جداً يرتدون الملابس الرسمية أو الذي مع الأحذية اللامعة، دخل الحضور من الشباب بالأحذية الرياضية والتي تحمل ماركات «بوما» والتي صارت الأكثر انتشاراً بين الشباب والشابات الزوار للمنتدى!

وكانت النتيجة لفت الانتباه إلى هذه الجرأة في ارتداء شيء ما رياضي كهذا .. ورغم حضور كبار رجال الأعمال والساسة على مستوى العالم .. لكن الشباب الحاضرين استمتعوا بالراحة التي توفرها أحذيةهم الرياضية وملابسهم الكافاجوال عندما كانوا يستمعون إلى المحاضرات الرصينة جداً التي تلقاها شخصيات رصينة جداً بملابس رصينة جداً وهذا تحطيم «البروتوكول» الخاص بالمنتديات الرسمية - على حد تعبير خبير من خلال الموضة الشبابية، وما كان من عدد كبير من الإعلاميين والأعلاميات إلا أن قلدوا هؤلاء الشباب واستبدلوا بالأحذية الكلاسيكية أو ذات الكعب العالي الحذاء الرياضي الكافاجوال أو «الصندل» نظراً للراحة الكبيرة التي يوفرها لهم أثناء التجوال المستمر في أروقة المنتدى.

بعضهم تمسك بشرقيته وارتدى «الصندل الشرقي» .. وعبرت كثيرات من الإعلاميات بالقول: «من أجل الراحة، خاصة أننا كثيرات الحركة والتنقل بين أرجاء الفندق الكبير»، وهنا اضطر منظموا المؤتمر ومنسقون

والغريب في الأمر، أن هناك «تصميماً» لدى المصممين الذين يضعون أزياءهم وموضتهم في شرائين الأوساط الشبابية حول العالم، على أن تكون خطوط ملابسهم الجديدة أو موضتهم غريبة وعجيبة بل «لا معقوله»! وبذلك تعرف تقارير ودراسات غريبة كثيرة في الموضة، بأن روح اللامعقول موجودة بقوة في تصاميم وابتكارات وأشكال ملابس الشباب الجديدة تحديداً حيث نجد زخارف ورسومات حروفأ ولغات غريبة مطبوعة على الثياب «الكافجوا».

ونرى - مثلاً - رسومات ذات خطوط ملتوية وحزوزاً محفورة، وصورة مظللة لرؤوس غريبة بشريه أو حيوانية .. ونرى أشكالاً غريبة لم نشهدها من قبل، مثل صورة امرأة شبه عارية وهي تقrouch في ثمرة

الأوروبي، لكن مهما كان، فمن الضروري لا تدعى هذه الموضة التي يدعونها بالفتح الحضاري حدود المنطق، لأنها في الحقيقة تمس كرامة الإنسان للأسف الشديد، فعندما أرى كيفية إنفاق وشراء الأمهات البصائر لبناتها ولأولادهن يومياً أتعجب من ابتساماتهن الواسعة، حيث يفرض الأولاد رأيهما في الملابس، ويشترون حسب أذواقهم وليس حسب أذواق أوليائهم، والشباب المراهقون لا يقدمون حتى على اختيار أوليائهم بنوع الملابس التي سيشترونها.

وكل هذا يذكرني بوالدي التي كانت تختر لي جميع ملابسي حتى أصبحت رجلاً، وكيف كانت تشتري لي الملابس في المناسبات فقط، خاصة في مناسبات أعياد الميلاد .. أما تلك التي يسمونها الموضة، فأنا

في المنتدى الاقتصادي السابع في جدة فرض الشباب موضاتهم وملابسهم وسط الحضور الرصين.

الشاب .. هو الجيل الحائر بين عصرتين .. بين زمنين .. بين عصر الآباء بقيمه وتقاليده الكلاسيكية .. وبين العصر الحالي بلغته الجديدة .. وأخلاقه النسبية .. وثورته المعلوماتية .. الشاب حائر بين الشرق بهويته العتيقة .. وبين الغرب باكتساحه لكل ما هو غربي .. فكل الأشياء المحددة للهوية تتغير:

اللغة .. القيم .. الأخلاق .. الثقافة .. فلما يقف الشاب الآن؟ وعلى أي أرضية: شرقية أم غربية؟ وهل هناك أرضية مشتركة؟

توت، ورؤوس أشخاص على شكل زهور أو وجودها محجوزة بين خطوط ضيقه ومثال لدور الأزياء العالمية التي قدمت تلك الرسومات الغريبة، تأتي دار أزياء لتضع خطوط موضة أغرب من الغرابة، فيها من ملامح الفجر وثيابهم المزركشة، أو أطیاف قوس قزح ولكن بألوان مختلفة.

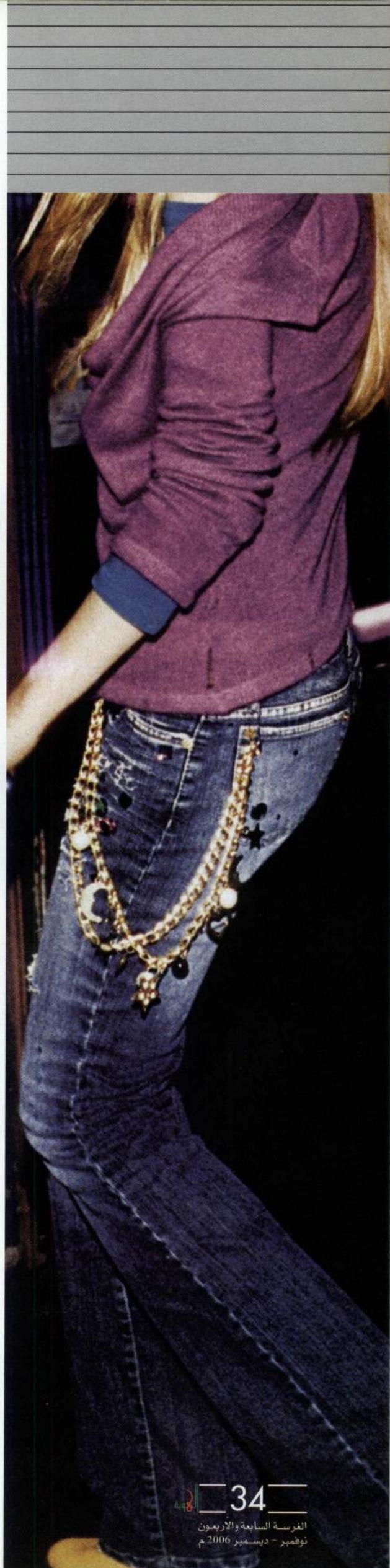
وباختصار يصف المحللون لهذه الموجات الغربية من الموضة على أنها تعبر عن روح اللامعقول والغموض والحرية الزائدة والرغبة في المتعة القصوى والخيال الجامح! وهناك من يصف تلك الموجات في الموضة التي يقبل عليها الشباب بجنون، على أنها اتجاه طفولي ساذج وحنين إلى الماضي البعيد وبحث عن الحرية المفقودة! وما كل هذه المشاعر والأذكار سوى ضالة الشباب الآن: الحنين إلى الماضي الجميل الذي بلا عنف، والبحث عن الحرية الحقيقية في مجتمعات مقهورة، واختبار متعة الحياة بعيداً عن القيود والتقاليد والأعراف! ولكن للأسف الشديد، يتم كل هذا بروح اللامعقول!

أراها عكس ذلك، وأظنها كانت موجودة في العصر الهيروغليفى! فهي بالنسبة لي مجرد أبعاد كالريح أو الزوابع على الجسم، ومظاهر بذئنة تتم عن حب الذات فقط.

ولا يفوّت ذلك الصحافي الغربي أن يتعرض للموضة الجنونية خاصة لدى الشباب، فتناول السراويل الجينز المزقة والمخرمة، والملابس التي تكشف أكثر مما تستر والتي يسمونها جريئة! ويؤكد أنه عندما يعترض على هذه الموضة التي بلا معنى، يصفه أصدقاؤه بأنه رجل قادم من العصور الوسطى!

البحث عن اللامعقول

عندما نلاحظ سلوكيات بعض فئات الشباب العربي في اختياره لملابس من ضمن خطوط الموضة المنتشرة من حوله في كل حدب وصوب، نجد أن تلك الفئات تبحث بالتحديد عن اللامعقول والغريب والشاذ أحياناً في تلك الموضة! لماذا؟ لأن ذلك يشبع «روح الاختلاف» الموجودة في كل شاب .. الاختلاف عن كل ما هو مألوف ومعروف ومعهود .. ففي الاختلاف تأكيد للهوية التي تبحث عن ثوب لها.





الهوية والموضة . . .

في بعض الحالات تكون حالة ديناميكية قابلة للنمو والتغيير.

وفي مرحلة المراهقة تكون الهوية غير مكتملة وتتمتع بغمونة كبيرة، وقابلة لأن تتشكل بعدة اتجاهات. لذلك يقوم المراهق أو الشاب وهو لا يعلم، برحلة يبحث فيها عن هوية مستقلة يعتز بها، هذه المرحلة غالباً ما تكون هي «رحلة البحث عن الذات»، وقد يتقمص عشرات الشخصيات، وقد يصنع نفسه في ذات غير واقعية، فهو يجرب نفسه في هوية مصنوعة وسرعان ما يتخلّى عنها.

والموضة وصناعتها تستهدف حالة البحث عن الذات عند المراهقين، لأنها مجال التسويق التقليدي (الصرعات) والملابس، ولأن شخصية الشاب غير ثابتة في جانب الهوية، فإن الموضة تتغير في كل حين ومعها تتغير أذواق المستهلكين الشباب الباحثين عن هوية.

كما أن اللباس الخارجي هو جزء من الهوية العامة للإنسان، فلكل شعب ملابسه الخاصة أحياناً، وهي ملابس ليست فقط للتكييف مع الظروف المناخية، بل هي ظهر خارجي يمثل هوية ثقافية واتباعاً جماعياً إثنياً. وأحياناً ما يحدد اللباس الخارجي الدور الاجتماعي كما يحدد الهوية، فال العسكري ما إن يرتدي لباسه الخاص حتى يبدأ بتقمص هوية عسكرية لها مطالباتها وشروطها، ويبداً في الشعور بضرورة التصرف وفقاً لمطالب هذه الهوية .. وهكذا بالنسبة إلى المهن الكثيرة مثل القاضي والطبيب .. وبالتالي، فتحن البشر تتأثر بالظهور الخارجي باعتباره جزءاً من هوية تحتم علينا سلوكيات وتوقعات خاصة.

ولعلنا نتساءل: لماذا تنتشر الموضة في صفوف الشباب أو المراهقين؟

والإجابة تأتي من أن انتشار الموضة في أوساط الشباب غالباً ما يأتي وليداً طبيعياً لحالة المخاض التي تمر بها مرحلة المراهقة والشبابية التي يشعر فيها الإنسان بحالة من الضياع، لأن هويته هلامية ولما تكتمل . إلى أن تستعد تلك الهوية في العشرينات، فتتضمن إليها جوانب كثيرة للذات.

وينضوي تحتها منظومة كبيرة من العقائد والاتجاهات الفكرية والسلوكية. وبعد أن تستقر الذات، فإنها تصبح ضرورية للتماسك النفسي والاجتماعي للفرد، وأية محاولة لإرباك الهوية المستقرة، هي محاولة لارتكاب بناءات الذات، وقد يدفع هذا إلى ظهور الاضطراب النفسي.

الدكتور كامل مطر الفراج - استاذ علم النفس الاجتماعي - جامعة الكويت يقول: الهوية هي بناء معرفي معقد يشمل نظرية الإنسان لذاته وانتماهه الديني والثقافي والمعرفي، كما يشمل نظرية الآخرين له والتي تصنفه ضمن الأبعاد السابقة. وما دامت الهوية هي بناء، فهي مكونة من عدة جوانب، كما أنها

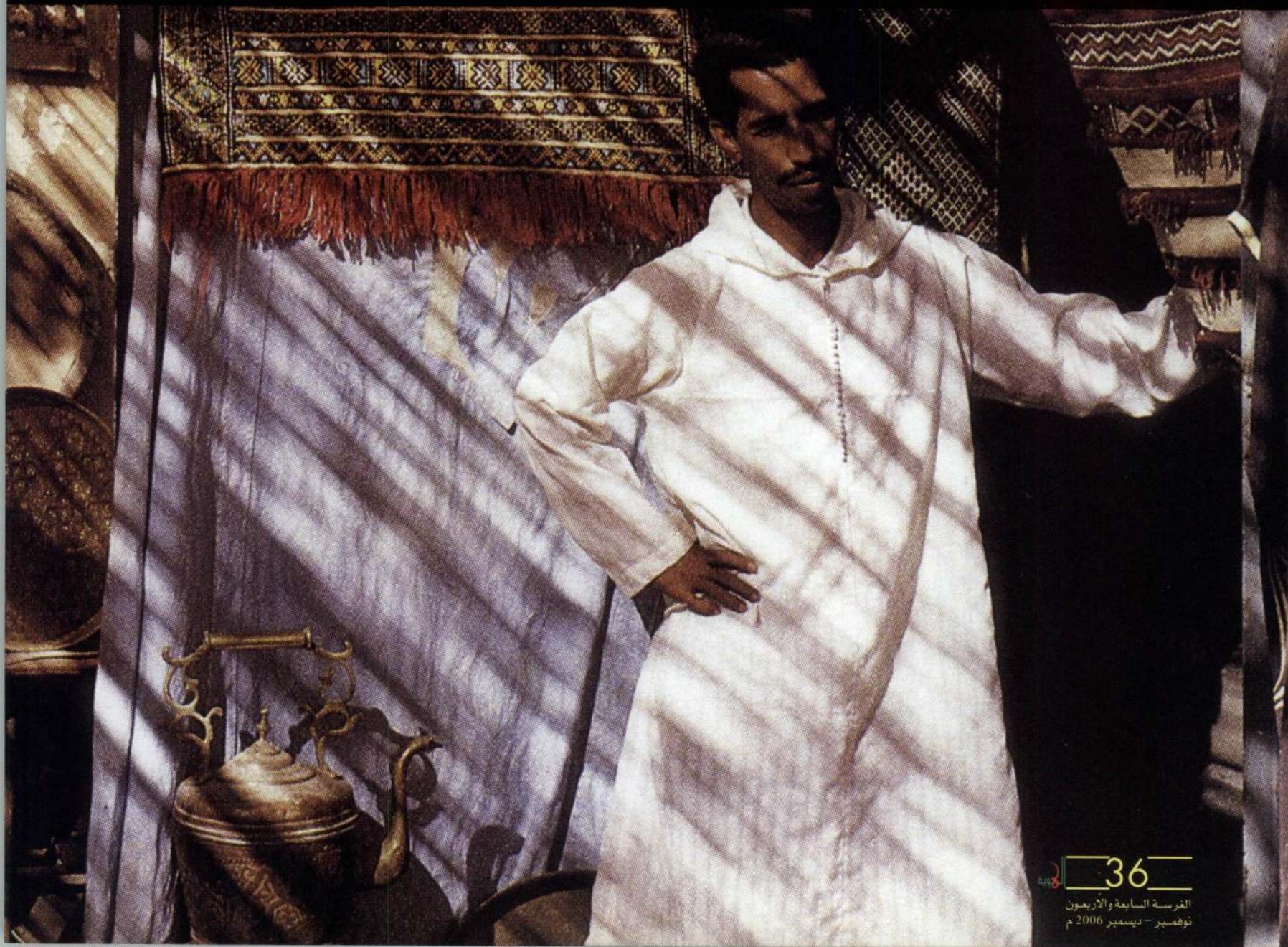


تراث

إعداد وترجمة: محمد الأسعد

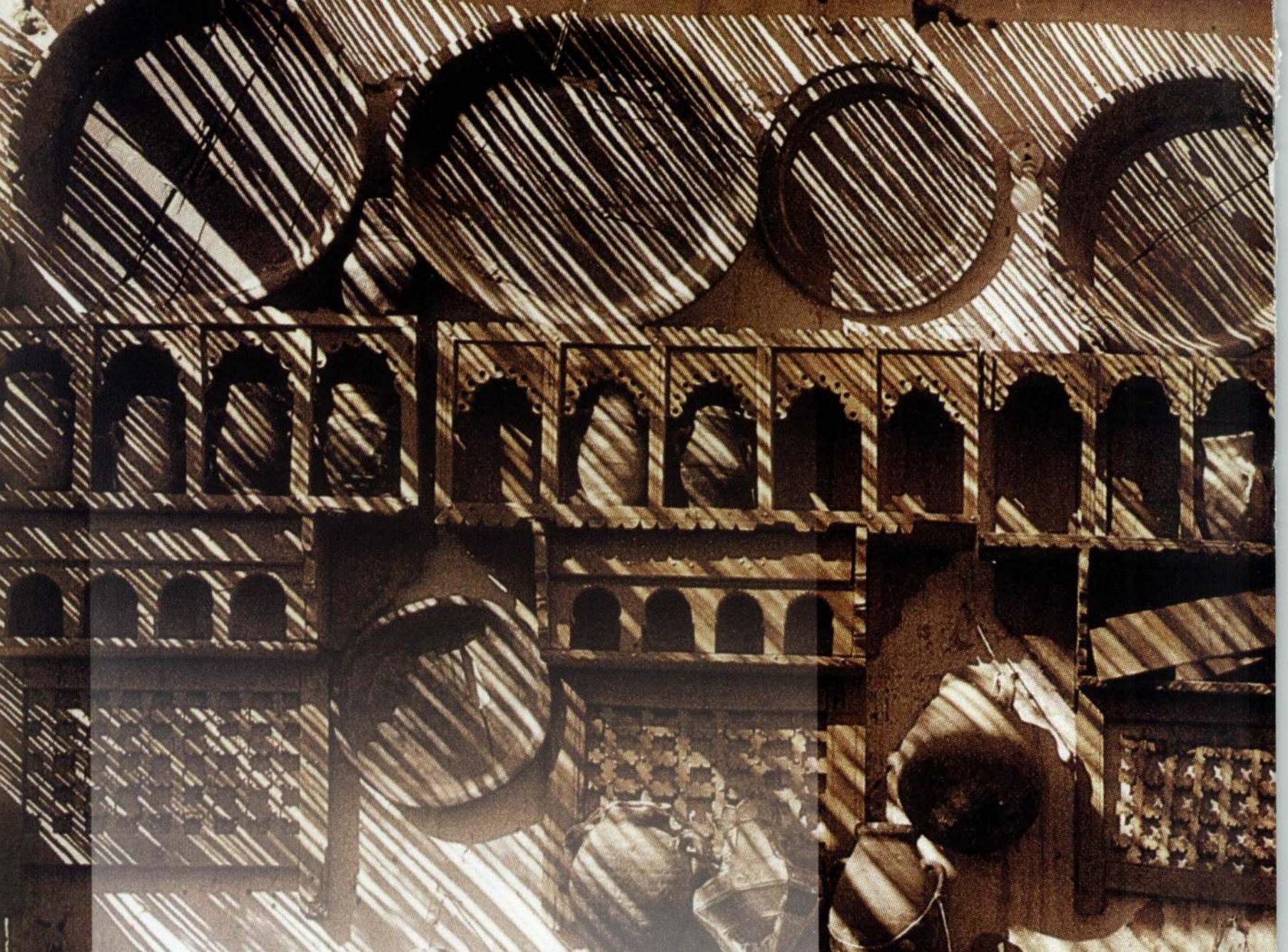
الأسواق الإسلامية

طريقة حياة اقتصادية وروحية وجمالية

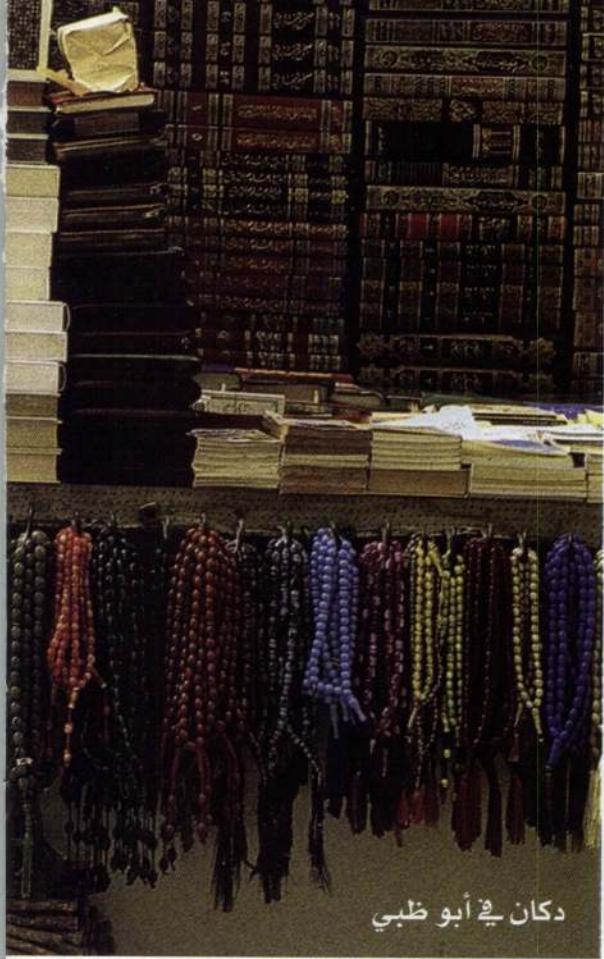


36

الفترة السابعة والأربعون
نوفمبر - ديسمبر 2006 م



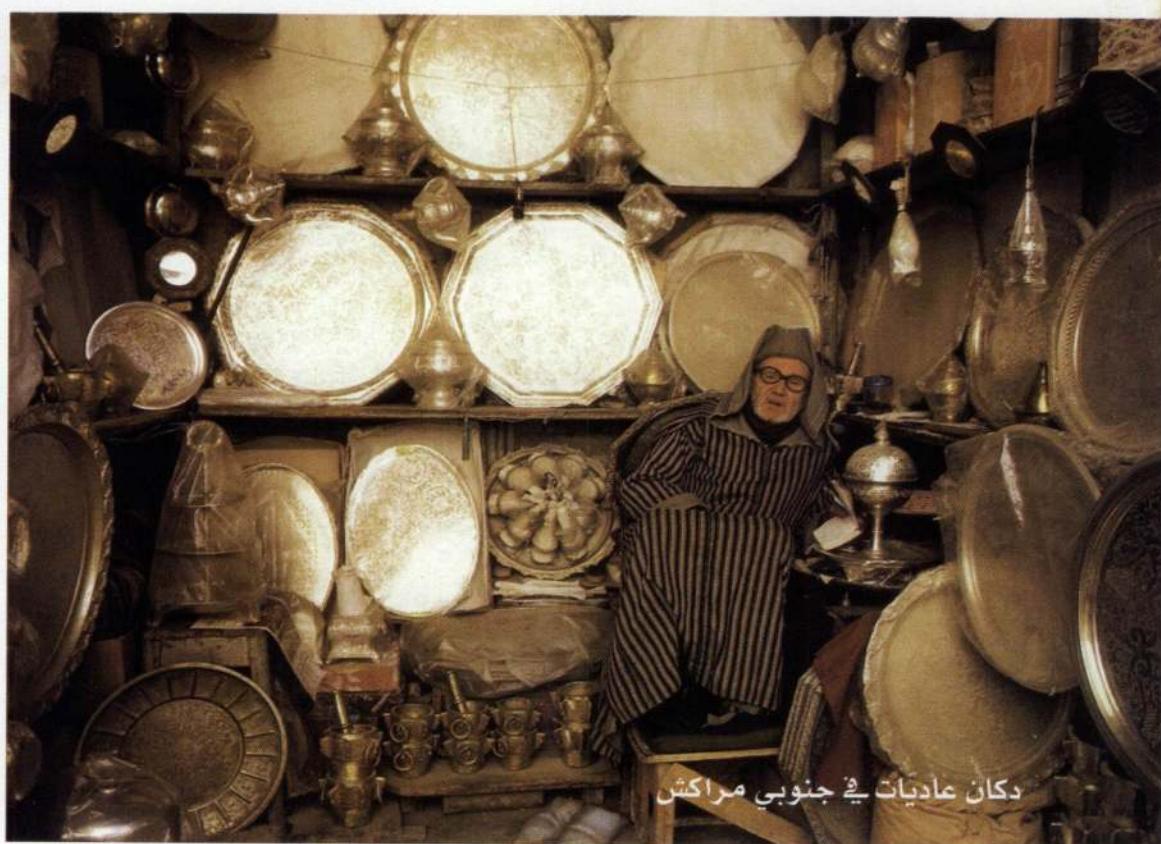
ذات يوم وأنا في إحدى ضواحي القاهرة مررت بتجربة لا تنسى
تركت أثراً عميقاً في نفسي. كانت رياح «الخمسين»، رياح الصحراء
الشهيرة، تهب وتغطي كل شيء بطبقة من الغبار الناعم. وكان
الدخان المتتصاعد من أكواخ القمامنة، يؤذى العيون، كان الهواء ساخناً،
والطرق الضيقة بين الأكواخ الخشبية والقبور مهجورة، تتناثر في
أرجائها المخلفات. وفي وسط كل هذا ظهرت شابة ترتدي «جلابية»
ملونة تشق طريقها بصعوبة وهي تحمل دلوين مملوءين ماء.
ما أدهشتني هو أنها ابتسمت وهي تمر بي وحيستني صاحكة وبأسلوب
مرح. كانت تقول لي بعينيها إن الفقر الطاحن حولنا لم يمس أعماقها
بسوء وأن الحياة اليومية لم تكن بالنسبة لها عبئاً لأن قوتها تجئ
من مكان آخر، مثل هذه الضحكة لن يتتسنى لك أن تسمعها في أي حي
فقير من أحياه مدينة أوروبية.



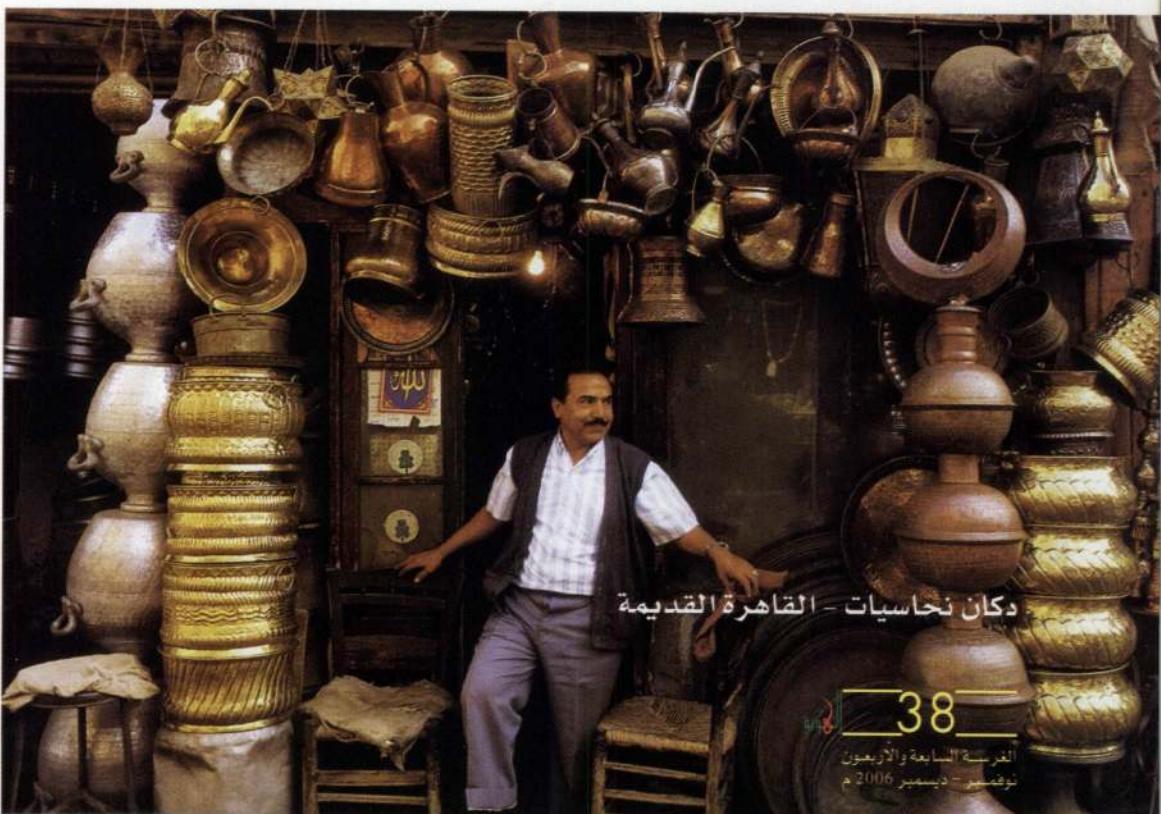
دكان في أبو ظبي



سوق الحجة في شمالي اليمن



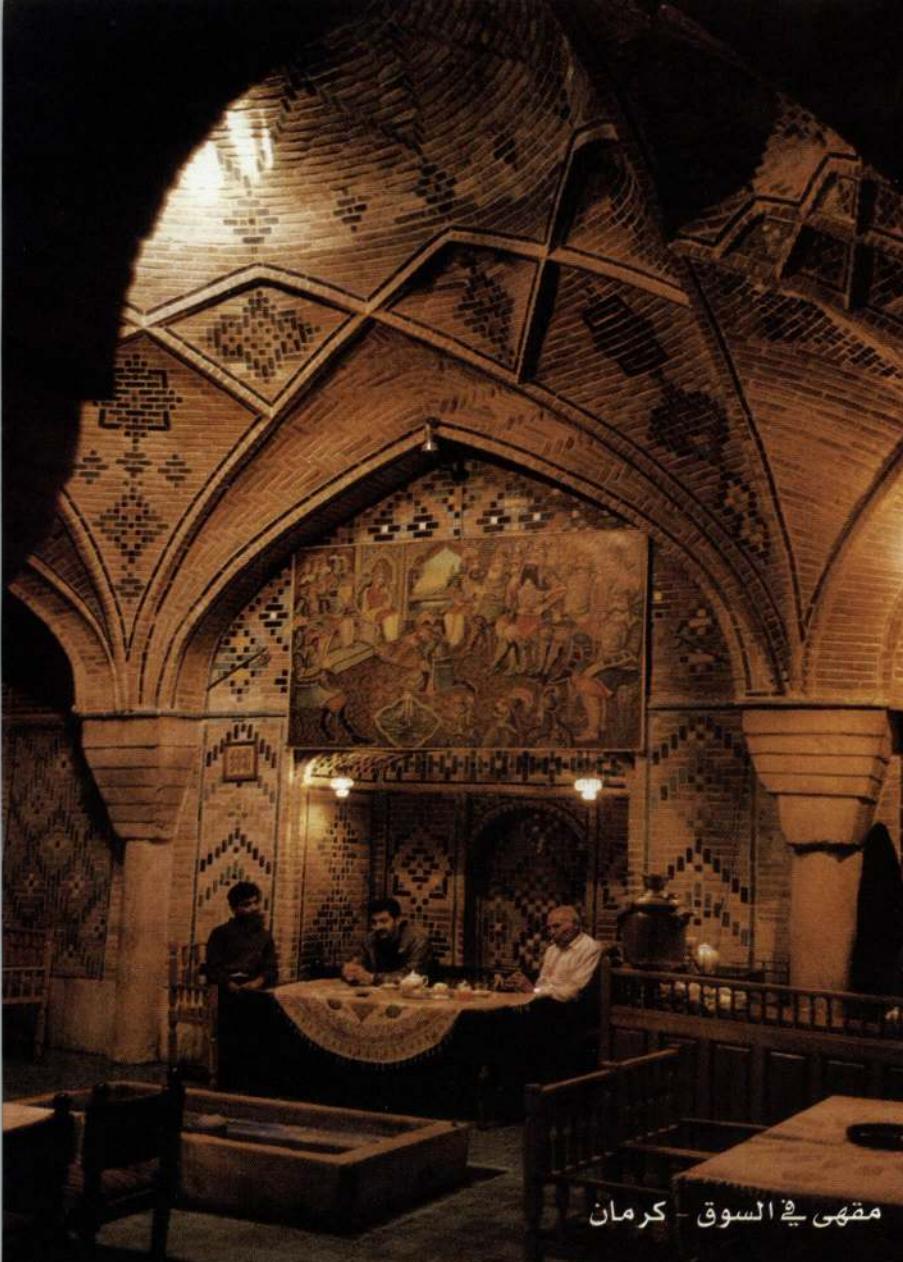
دكان عاديات في جنوب مراكش



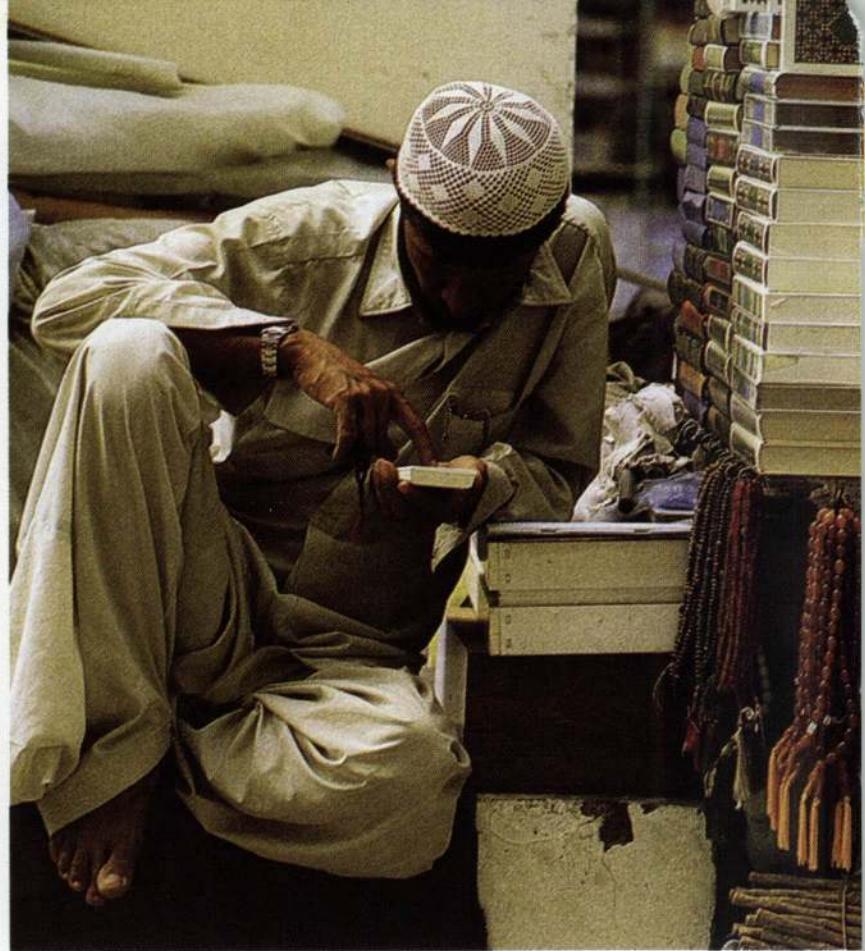
دكان نحاسيات - القاهرة القديمة

منذ ذلك اللقاء الذي لا ينسى في أوائل الثمانينات قمت بما يقارب ثلثين رحلة إلى البلدان الإسلامية، وشاهدت أجمل مساجدها وقصورها ومشاهدتها الطبيعية، ولكنني، وأنا واع خلال كتابة هذا بالتناقضات الملازمة للصورة الرومانسية، للشرق «الروحي»، كنت مفتوناً أينما ذهبت بواقعية الناس البهيجه وثقتهم التي لا تتزعزع بالله.

قال روائي فرنسي «أنطون دي سان اوكتافيري»: «هناك أناس الطريق الرئيسي وهناك أناس ممرات المشاة». أناس الطريق الرئيسي يسببون لي الضجر، أنا ضجر من الطريق الإسفلتي بين علامات الطريق، فهو لاء الناس يثبتون أنظارهم على هدف معين: الربح أو النجاح. أما على امتداد ممرات المشاة فهناك أجمات شجر بندق بدلاً من علامات الطريق، وتستطيع أن تسير على امتدادها متنهلاً وتقرش البندق، فأنت هنا سعيًا إلى أن تكون هنا». في الأسواق لا توجد علامات طرق.



مقهى في السوق - كرمان

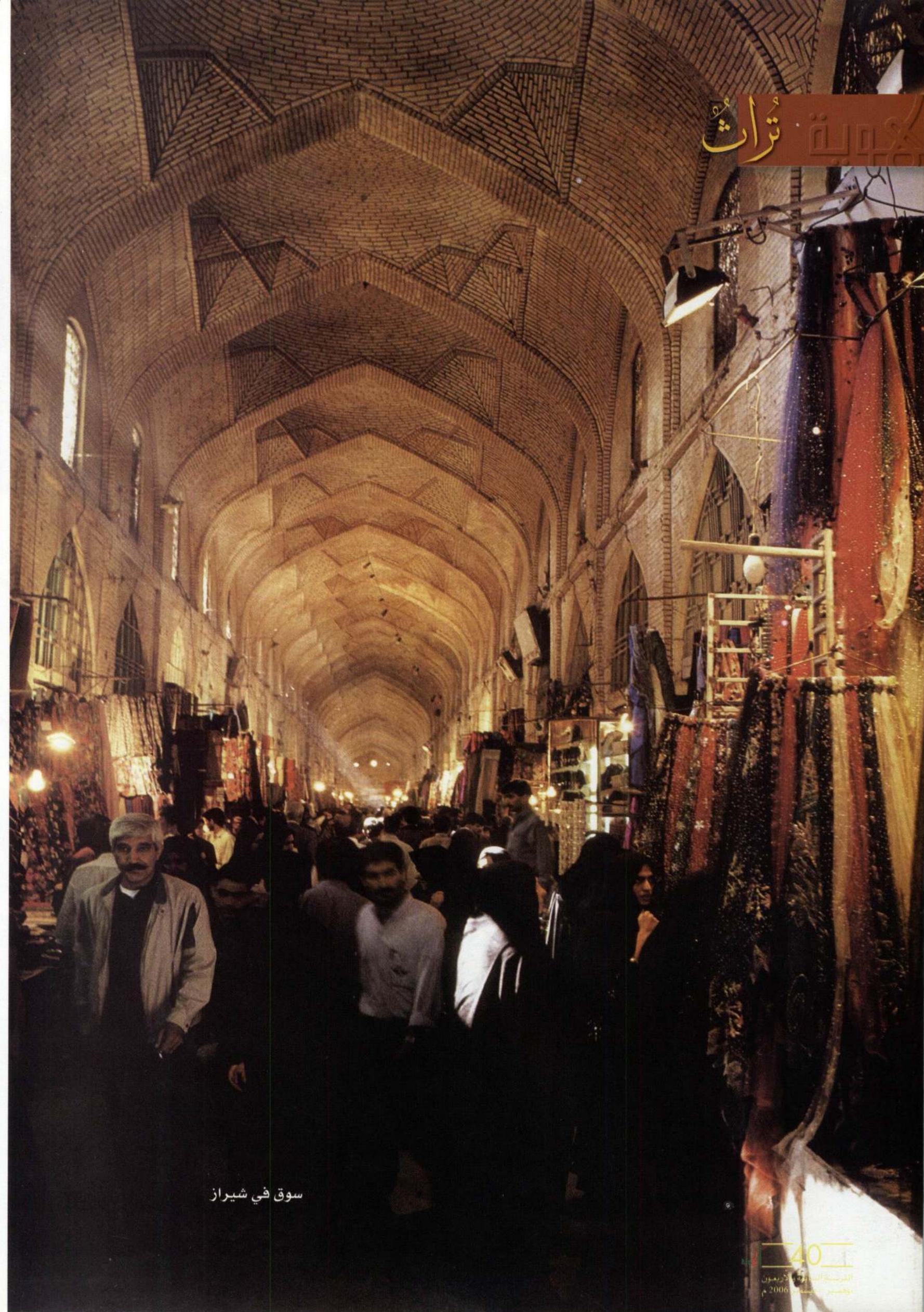


وتميل وسائل الإعلام الجماهيرية إلى المبالغة في التبسيط، إنها ترى كل شيء باللونين الأسود والأبيض، وفي بحثها عن «أشكال الناس المخيفين» وجدت مادة وفيرة في العالم العربي في السنوات الأخيرة، الغرب والشرق، كما جرت العادة منذ زمن الحروب الصليبية، ينظر أحدهما إلى الآخر بوصفه تهديداً بهذه الطريقة، أو تلك. ولكن في الغرب والشرق على حد سواء، فإن من يجتنبون الانتباه هم مروجو الإشاعات العدائية وليس المفكرين، وهكذا فإن كل مسلم يصبح في ذاكرة الغرب الجماعية متعصباً مخيفاً لا يمكن التنبؤ بسلوكه.

ولكن من حسن الحظ بالنسبة لنا جميعاً، يظهر الآن جيل جديد من المستشرقين والخبراء بالإسلام، يستبدلون الأفكار الجديدة بتلك القوالب القديمة البالية. ولكن من المثير للاستغراب أن قلة فقط من الكتاب نظرت في ظاهرة السوق، وحتى في هذه الحالة جاءت النظرة من وجهة



آلة نسيج السجاد في أحد أسواق حلب



تراث

سوق في شيراز

٤٠



دكان أقمشة في حلب



في سوق العطارين - تونس



سوق مدحت باشا في دمشق

النظر الأكاديمية البحتة.

وحتى الآن من الصعب العثور على كتاب يقدم للقارئ العادي المهتم صورة جلية وموحدة لكل جوانب هذا الانجاز الموروث والفرد للثقافة الإسلامية، في هذا الكتاب المصور وعنوانه «السوق: الأسواق والتجار في العالم الإسلامي»، استهدف المؤلفان الكاتب والمصور غايتين، حاولاً أولاً تفسير وتوصيل كيف أن السوق في العالم الإسلامي هو أكبر من مجرد كونه شبكة غرائزية من الورش والدكاكين يلتقط منها السواح الهدايا، ويضيعون فيها. إن السوق مدينة داخل مدينة، لها اقتصادها وطريقة حياتها وخلفيتها الروحية التي يمكن أن يتعلم منها المجتمع الغربي الكثير وبخاصة في الوقت الراهن حيث عليه أن يعيد تعريف وتحديد مفاهيم مثل العمل والزمن والتضامن.

ثانياً: حاول المؤلفان إجراء جرد لوضعية السوق، فمهما بدا من أن أشياء كثيرة لم تمس في الأسواق للوهلة الأولى، فإن ملامحها الموروثة، المباني القديمة والبضائع والأزياء والقيم والجوانب الجمالية، تهددها الصناعة والتقنية الغربية تهديداً متزايداً. ومثلاً قال شيخ من «طنجة» حين جاء الأوروبيون إليها بعد احتلالها بالصابيح الكهربائية: «لو أن هؤلاء يصلون خمس مرات في اليوم لما اهتموا بمثل هذه الأشياء الطفولية».

♦ عن كتاب «السوق: أسواق وتجار العالم الإسلامي» - والتر فيس، وكورت - ميشيل ويسترمان - ٢٠٠٠.

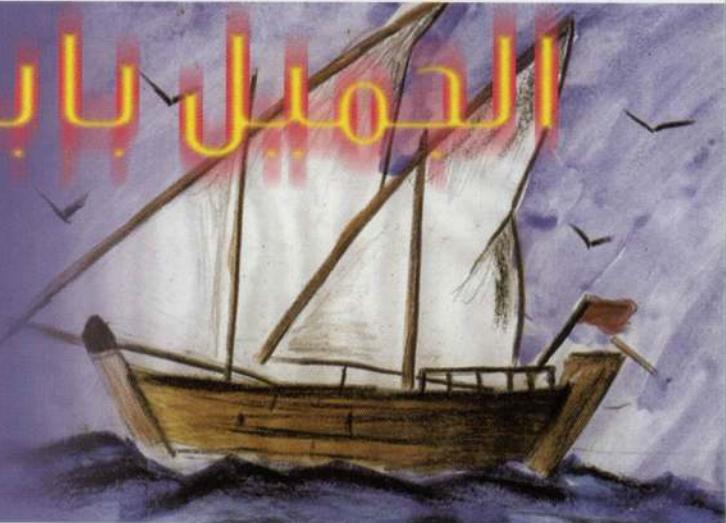
أكدوا معنى الاتماء وأصالحة الهوية

مددعوا مشار لولوا الرعن الجميل بابداعهم المدهش

النخيل والبحر والمنازل القديمة والأبراج

مفردات لوحات تشكيلية لأطفال الكويت

مواهبهم البشرة أكدة أن الوطن يسكن أبناءه كما يسكنونه



حينما تطل عينيك على هذه الرسومات، ستتمنى أن تكون لديك، في بيتك .. مكتبك، ذلك أن عدم اكتمالها على نحو ما .. هو الذي يعطيها «الكمال» لو جاز لنا التعبير.

نعم .. عدم اكتمال شيء، يعطيه أكثر مما لو كان أقرب من الكمال، ذلك أن الإبداع «الجميل» لا يكتمل، ربما يترك لك مساحة .. لأن تكمل أنت، أو تقف وتنتظر إلى ذلك «اللامكتمل» وتقول: لو فعل، وبما أنك قلتها: «لو» إذن هذا هو الإبداع، لأنه شغلك.

ما بين الماضي والحاضر .. وضلع الفنان الصغير، فهو من رسم البيت القديم، وهو من شكل الأبراج، إذن هو قادر على الرصد .. فيما بين الذي كان .. وبين الكائن الآن .. لا أحد زرع التاريخ فيه، لكن التاريخ يضع نفسه في المبدع!

الكويت

هو الوطن «لا شك» .. وهي الكويت، تلك التي أفرزت مبدعاً جميلاً، ينطق بسن عمره الصغير والجميل إلى آفاق الغد هذا الذي لم يتلوث، بفعل غزو عراقي، حيث لم نر رسمياً في زي عسكري، أو داخل دبابة، إنه الإبداع الجميل.. إنساني، دون تلوث، دون إشارة إلى كراهية،

«الهولو» ولا صعدوا «السنبوك» .. لكن الأجداد الذين فعلوا لم ينسهم الأحفاد، ربما بحكايات من الآباء، ومشاهدات هنا وهناك، راحوا يلونون اللوحات، يؤكدون أن الوطن جميل، يلد إنسانه الأجمل .. إنه المضي إلى أيام .. إلى الفن بالوطن .. والوطن بالفن .. آه ما أحلم أن يرسم طفل علم بلاده، إنه يختزل «التالي» بإحساس بالأرض .. سماء الوطن.

ربما ظن الكثيرون أن الطفل الكويتي مدلل .. يجد كل ما يحتاجه، وينال ما يصبو إليه، فقط يشير نحو ما يريد، إن هي إلا ثوان .. ويلقاها

هذا الطفل أكده هوبيته باللون والخط بالتشكيل والإبداع، كأنما الرحلة التي كانت .. مستمرة وحتى يشاء الله، يوقفك «مبعد» صغير أيام نخلة، كما لو كان يعطيك من رطبه! ويدخلك على الفور التساؤل: من عَلِمَه؟ في كثير من الرسومات .. الفن، لا تلحظ المباشرة الفجة، كأنما أدرك الطفل .. أنك قادم «ل الكبير» لتشاهد نتاجه، هارأد أن يداعبك .. يشغل من عقلك مساحة، ويراهن على حوارك، فلم يباشرك بـ «بورترية» لآمه أو أبيه، وكان المشهد الذي قدمه لك .. الوطن، هذا الذي سكنه، سواء من حكاية .. أو حياة.

الدهشة

فتان صغير، لكنه أدار رأسك، بتأكide على العلم الكويتي، بدخوله إلى الماضي، واستقراره على اللون المناسب في لوحته، وبما أنك مخترن بالتجربة الحياتية، بالخبرة، تدهشك الجرأة على الاختيار، والشكل الفني .. الحس الإبداعي والموهبة!

ولا تقف عند حد الدهشة، إنما تتساءل: من يصنع الآخر؟ الفنان أم الوطن؟ ويكون الجواب، ليس ثمة وطن دون فن وفنان .. ولا مستقبل لوطن دون وفنان، والكويت بأطفالها المبدعين .. حاضر .. مستقبل، كيان.

الوطن غالٍ والهوية وطن .. ما أن تولد، حتى تدرك ثم تعرف، من أنت، وحينما تعرف ذاتك.. أرضك / هويتك.. تعمل وتبعد، ونحن هنا بإزارء إبداع الطفل .. هذا الذي أحب الوطن .. أدرك، ومن ثم عرف هويته .. الكويت.

هي ترنيمة الأجداد «بس يا بحر» وحكاية الآباء «ها نحن عدنا»! ورفاه اليوم .. هكذا نعيش، (الطفولة الكويتية «الفنان» صاحب الموهبة .. إلى أين يمضي؟).

جاء الجواب / الاكتشاف .. يمضي بالفن الجميل، يوصل الماضي .. اليوم وغدا.

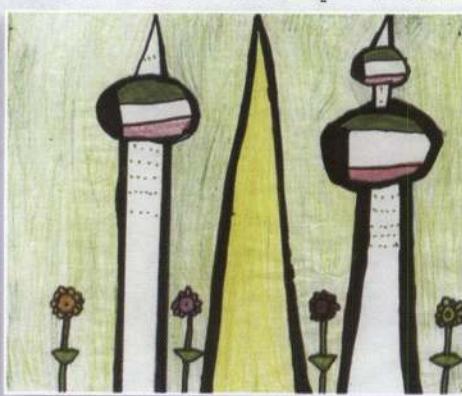
الحياة في الكويت قديماً، كانت بين بحر وصحراء، والمنازل لم تكن على هذا النحو .. حتى الإنسان الذي تواصل مع معطيات «المدينة» .. لم يعد ذلك الذي كان! بينما أتجول مع أطفال اليوم .. في إبداعهم التشكيلي، إذا برسوماتهم، تأخذني إلى هذا الإدراك .. الفهم .. هم يدركون ماذا تعني الكويت.

يعرفون الوطن (وطني الكويت .. سلمت للمجد .. وعلى جبينك طالع السعد).

يعرفون أنه وطن الصحراء .. رسموا النخيل، إنه وطن البناء البسيطة، شكلوا بألوانهم تلك المنازل التي كانت، وعرفوا عن الوطن كيف كان ينير ليه، أبدعوا في رسم (لبات) الليل، ومن أي أوان كانوا يأكلون.. رسموا، هي لحظات من الدهشة .. صنعتهاأطفال، أكبرهم لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره!

الوطن والسفر

يقول المثل التركي «أينما تسافر .. يسافر الوطن معك» .. هؤلاء الأطفال لم يغربوا وإن سافروا سكنهم الوطن .. وملهم الانتماء، أبدعوا في رسم الوطن «البوم والسنبوك» وهم الذين لم يسافروا ببوم .. ولا أنشدوا



الخيال والبحر

على بوم 13 سنة يجئ إلى الصحراء .. النخلة رمز الخير، لا يعطيها تلك الشجرة «الخير» كما هي عليه، لكنه آثر أن يهبها فنه، يعد تشكيلها من جديد، باللون مغایرة «زاهية» جداً وجديدة، بين أحضر زهري وأخر زيتوني يتلاحمان مع الأصفر أرضيه بينما الشمار جاءت باللون البنى «المحروق» .. داخل أرضية حمراء «مطفية».

هذا التشكيل اللوني وانضمام الأزرق والسماوي كطير في السماء، يجعل المتعة لدى المتلقى تكمن في الإصرار على التجديد من الفنان .. كأنما أراد القول: أنا هنا حرّ في إبداعي!

حصة ولد الأنصارى (9 سنوات)، رسمت اليوم، ليس كما هو .. إنما حاولت «التجريد - من حقها - هكذا أنا أرى اليوم، ليس واضحًا كل الوضوح، وليس رمزاً، إنها الصورة كما جاءت بها الذهنية وضعتها برأيتي - ففي أنا - كذلك الناس الذين جاءت بهم سوء كمودعين أم مستقبلين .. بينما اليوم لم يظهر فيه أي إنسان! وبعض طيور تحلق في السماء .. وأهم ما أبرزته اللوحة هو الخطوط بحدتها المقصودة .. فنانة واحدة في التالي من الأيام.

مفردات كويتية

رسمت حصة العلي - من جانها - إماء للدهن والمعرفة إلى جانبه، اشتعل التشكيل اللوني في لوحتها باختيارها الأحمر الممزوج بشيء من الأصفر في رسم الإناء وتجيء الأرضية من الأصفر والبيج والبني أما الخلفية .. فاستلهمت الأخضر لها.

هذا الإناء ليس مما يستخدم اليوم، إنه أحد علامات المنزل الكويتي القديم، وهذه «التيمة» لاحظناها عبر الكثير من اللوحات.

وأخيراً يسقر بننا أحمد خالد الهولي (12 سنة) في البحر، رسم يوماً وزع عليه العلم وكتب «كوت» و«بساطة جميلة وتلقائية رسم كثيراً من الأسماء وجاء بالشمس باللون الأحمر مع بعض الأصفر، هو البحر .. اليوم .. هي الكويت.

تبقي المتعة وليدة الدهشة .. والمبدع الكويتي الصغير قادر على بث وبعث الدهشة والبهجة، بفننه الجميل داخل نفوس الكبار .. ورفع راية الوطن عالية في التالي من الأيام .. لذلك يجب الاعتناء بهذه المواهب وتذليل الصعب أمامها واحتواها.

التشكيل قدم لوحته، تاركاً لها خلفية بيضاء تضيء للعين الرؤية.. وترك مساحة الدهشة تغمرك.

اتساع وأفق

في لوحته البدعة رسم محمد عبدالملك الحطب، جلسة عائلية لثلاثة رجال .. واسع باللوحة ليشمل الغرفة بأمرأة قادمة، يفتح صبي الباب لها .. يتناول شيئاً منها أو يقدم لها.

هذا الاتساع في حركة اللوحة، جاء بما يحسب له، فهو لم يتسبب مع كثرة التفاصيل المقدمة تشكيلياً، أفقاً وفناً في هروب الفكرة أو تشتتها، وما أراد قوله «فتياً» يصلك وبسرعة، إنه الزمن الجميل .. زمن التواصل والدفء والعلاقات الإنسانية الحميمة.

من فرحان قدمت لوحة بسيطة عند النظرة الأولى لكن ثراءها يزداد بالنظر إلى الخط الهندسي المعتمد «رسماً» والألوان التي تميل إلى «الفاتح»، كأنما الشفافية رسالة منها إلينا .. ثم بالنظر إلى أعمال المراكب، سنلاحظ التأكيد على دول الخليج حيث أعمال الكويت .. قطر .. الإمارات.

الإحساس .. هنا يجئ ليؤكد أنه الخليج العربي ذلك الذي يمثل هويتنا على اختلاف ألوان العلم.

أبراج وبحر

تدشننا ريم نجيب السلمان بلوحتها «أبراج الكويت» فالطلقة ذات الثمانين سنوات، لم ترسم الأبراج بما هي كائنة عليه، إنما جاءت بعلم الكويت يزينها ويعطيها «الهوية» .. الانتماء إلى هذا الوطن الجميل.

وبشت بأمانيتها عبر الزهور فيما بين البرج والآخر .. معطية خلفية جميلة بلون الحياة «الأخضر» كإضاءة لللوحة الجميلة.

المبدع الصغير صالح الحساوي عزف سنوات عمره التسعة على التشكيل اللوني المبتهج، كأنما أراد تصوير رحلة اليوم إلى جهة المنشودة، بأنها رحلة جميلة .. تحت شمس ساطعة وسماء صافية .. عبر بحر أسماكه كثيرة .. ملونة.

وكشف صالح عن قدرته على تكعيب من خلال تلوين الماء .. وحتى جسم اليوم .. انظر اللوحة، إنه الاستغراب داخل الحياة .. خروجاً من زمن الطفولة.

ولو كانت مستحقة! تظل الكويت .. هي الهاجس «الجميل» لطفل .. أبدع بألوانه المائية .. الزيتية، الجواش .. الرصاص أو قلم الفحم، هي الحياة بعيون صغيرة السن، كبيرة الإدراك والمعرفة.

هي الكويت، البلد الجميل الذي يضع .. في أبنائه، صغاره الإبداع، ويطلق إلى الدنيا، «بأسرها» نتاج مدنية .. عبر الإبداع ليظل مذكوراً ومحفوراً باسمه .. في سجل الكبار.

تساؤلات

لو أنك تدخل إلى تفاصيل «الخط واللون» .. لخرجت لنا» بمئات الحكايا، وبهوية كويتية، دخل كثير من هؤلاء الأطفال موسوعة «جينيز» ولست أدرى، إذا كانت أفكار اللوحات من إبداع مخيلة الطفل، أم أن هناك «كبيراً» أمل علىه .. أو استوحاهما من لوحة أمامه؟ كل هذا لا يهم، فروح الفنان والإصرار على الخلق .. واضحة جلية موجودة في كل خط وتشكيل .. لون وصورة.

يدخلك اليقين .. بالنظر إلى اللوحات، التأمل فيها، أن الموهبةأخذت الطفل، من الله .. المرح .. إلى الاستغراق في إبداع جميل، ليلاشى السؤال: من الذي علمه؟ هل هو المدرس .. أم البيئة .. المجتمع .. الوطن؟

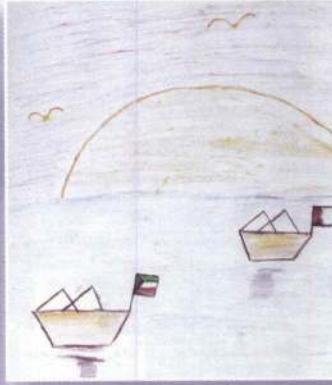
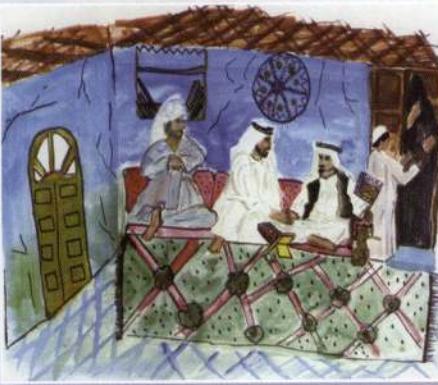
وأيا كان الجواب سيؤكده الطفل المبدع: الإحساس! بالأرض .. الحياة .. الوطن!

لوحات وتشكيل

يوسف حسن متrok (8 سنوات) أبدع في لوحته «البوم» ما شف عن موهبته الواuded، انسجمت ألوانه التي تداخلت فيما بين الأزرق «البحر» محدداً الأمواج بالأسود، والأبيض فراح يؤكد صعود الموج في جزء .. وهبوطه في آخر.

وجاء حيز اليوم «الكتلة» في اللوحة، منسجماً تماماً مع حجم اللوحة .. اليوم يرفع علم الكويت «قديماً» بلونه الأحمر .. والأشعرة تتجاوز فضاء اللوحة، كأنما في رحلة إلى المكان المنشود، إنه إبداع طفل في الثامنة من عمره يشي بمستقبل واعد لفنان كبير.

أما فرحان محمد (9 سنوات)، فقد رسم مصباح «الكريوسين» .. لعب وعزف فرحان في لوحته بالخط والظل، مستخدماً قلم الفحم .. باقتدار وجرأة على



في التراث

الغنائي الكويتي

عرف سكان الخليج العربي منذ القدم صناعة السفن ومهن صيد السمك والغوص على اللؤلؤ والتجارة البحرية. ومن المعروف أن لكل مهنة بحرية من تلك المهن أهازيجها وغناءها المميز، لذا كان بحارة الخليج العربي ومنهم بحارة الكويت يرددون مثل تلك الأهازيج والأغاني البحرية والتي تتميز بإيقاعات خاصة ومتعددة.

وظل هذا التراث الغنائي العريق يتوارث جيلاً بعد جيل حتى وصل إلينا بصورة الحالية.

أما أهل البدارية فكان لهم غناهم وأراجيزهم الخاصة، يرددونها خلال رحلاتهم البرية للتجارة والتنقل من مكان إلى آخر، طلباً للماء والمشب. ومن أشهر فنونهم الحداء «الهجيني» ينشدونه عند ركوبهم الإبل أثناء ترحالهم.

أما في حلمهم فهناك فنون أخرى مثل الفريسي والمجلسى والدحة بالإضافة إلى طروق الربابة المتعددة. ولسكان المدن أيضاً أغان خاصة تمتاز برقتها وسلامتها وسرعة إيقاعاتها بعضها مثل: السامرى وأغاني الأعراس

لابن لعبون دور كبير في تطوير الفنون الشعبية كالسامري والخماري وتميز بالاعيونيات.

تعتبر فترة الستينيات من القرن الماضي العصر الذهبي للأغنية الكويتية الحديثة.

في منتصف القرن التاسع عشر ظهر الفنان عبدالله الفرج ليتطور الألحان الشعبية بخاصة فن الصوت.

فرقتا الدواسر وجوهر اللنقاوي من أقدم الفرق الشعبية التي عرفتها الكويت.



تلفزيون الكويت، كما قامت وزارة الإرشاد والأنباء وقتها بإرسال عدد من الموسيقيين والمطربين في دورات إلى القاهرة للدراسة ولتسجيل عدد من الأغاني الكويتية. وتعاقبت الوزارة مع فرقة موسيقية مصرية تضم عدداً من العازفين على مختلف الآلات الموسيقية مما ساعد على النهوض بالأغنية الكويتية حيث أدخلت إليها إيقاعات موسيقية حديثة مما أكسبها نغمات وألحاناً جديدة.

كما قامت الوزارة بإحضار عدد من المطربين والمطربات العرب لتسجيل أغانيات كويتية حديثة بأصواتهم مما ساعد على انتشار الأغنية الكويتية أيضاً.

وكان لتأسيس جمعية الفنانين أثره الكبير في تقديم الفنون الشعبية الفنائية وتطورها وظهورها عدد من كتاب الأغنية الكويتية الجيدين بالإضافة إلى عدد من الملحنين والمطربين الجدد والذين لا يزال عدد منهم يمارس دوره الفني على الساحة. فظهرت ألحان وأغانٍ جديدة، وكذلك فرق غنائية شعبية أخذت دورها وانطلقت بالأغنية الكويتية إلى خارج حدود الوطن. وتعد جمعية الفنانين امتداداً لمركز الفنون الشعبية الذي أسّسته دائرة الشؤون الاجتماعية والعمل عام ١٩٥٦، لتسجيل وحفظ الأغاني والفنون الشعبية الفنائية المختلفة مثل الفن البحري وفنون الباشية والمدينة.

الهوامش:

- ١) هناك رواية أخرى للبيت وهي:
دار الطرب والعجب والكيف
دار المناعير معروفة
- ٢) ذكر الباحث الأستاذ عبدالله ناصر الصانع في مقدمته لديوان الشاعر الشعبي عبدالله الحبيب: أن مؤسس فرقة الدواسر هو: فراج الو涕، وقد أنسسها في منطقة المرقاب.
- ٣) ديوان عبدالله الفرج - في شعره العامي النبطي - جمعه خالد بن محمد الفرج ص ٤١ - منشورات ذات السلسل - الكويت.

وقد عاصرت هذه الفرقة قوم ابن لعبون إلى الكويت في مطلع القرن التاسع عشر وكانت تردد بعض أغانيه.

فرقة جوهر النقاوي

ظهرت هذه الفرقة الغنائية الشعبية بعد قدوم ابن لعبون إلى الكويت بفترة قليلة، وكانت تؤدي في البداية الفنون البحرية كالحدادي والعرضة البحرية وبعض الفنون الأخرى كالبوب وموسيقى القرب «الهبان». وبعد ذلك تأثر بعض أفرادها بفن ابن لعبون وأخذت تؤدي السامر والخماري وبعض الإيقاعات اللعبونية بالإضافة إلى أغاني المناسبات المختلفة.

الشاعر عبدالله الفرج

في منتصف القرن التاسع عشر ظهر في الكويت شاعر وفنان مبدع هو عبدالله الفرج الذي كان له الأثر والفضل الكبير في تطوير الكثير من الألحان الشعبية وغيرها وبخاصة فن الصوت الذي أدخل عليه ابتكارات جديدة وأنفاماً جميلة لاقت قبولاً واستحساناً مثل التوشيعة التي طورها وجعلها تتسمج مع إيقاعات نغم الصوت في نهايته.

وكان لدراسته واحتкалاته بعدد من الفنانين اليمنيين وغيرهم أثناء إقامته في الهند والتي قضى فيها فترة من حياته أثرها الواضح فيما قدم من ألحانه. وعندما عاد إلى الكويت نقل خبره الموسيقية والفنائية إليها وضمنها قصائده الرقيقة والتي مازلت تستمتع بها من خلال المطربين القدامى الذين يرددونها.

وقد وضع الفنان عبدالله الفرج بعض النوت الموسيقية لألحانه ولكنها لأسف فقدت كلها، ويحدثنا الشاعر خالد الفرج عن تلك النوت والألحان الموسيقية بقوله: «رأيت في مخلفاته كتاباً للألحان مكتوبة بالنوتة وعليها تعليقات بخطه مما يدل على تضليله في هذا الفن (٢).» وكان بودنا لو أن الشاعر خالد الفرج ضمن تلك النوت والألحان التي أطلع عليها ديوان الشاعر عبدالله الفرج الذي جمعه ونشره المرة الأولى في الهند عام ١٩١٩ م والثانية في دمشق عام ١٩٥٢ م.

الأغنية الكويتية الحديثة

يعتبر عقد الستينيات من القرن الماضي العصر الذهبي للأغنية الكويتية الحديثة. وعصر التطوير والتجديد والانتشار بالنسبة لها. وفي نهاية الخمسينيات بدأ في تقوية الإذاعة الكويتية، وبعد الاستقلال مباشرة في مطلع الستينيات زاد الإرسال لفترة قاربت ٢٤ ساعة، وتم افتتاح

والموالد وبعض الفنون الأخرى كالخماري واللعبونى وغيرها.

كما كان لأهل البحر دور كبير في نقل العديد من الفنون والإيقاعات الموسيقية اكتسبوا بعضها من خلال ترددتهم ومكوثهم لفترات قد تطول أحياناً في بعض مواطن الخليج العربي وخليج عمان وبحر العرب والمحيط الهندي، وموانئ شرق إفريقيا حيث كانوا يتلقون ببعض الفرق الغنائية ويستمعون إلى بعض الألحان الشعبية مثل السنكبي واللبوة وبعض أغاني الوالد والزار.

قدوم ابن لعبون إلى الكويت

قدم الشاعر والفنان محمد بن أحمد بن لعبون إلى الكويت في مطلع القرن التاسع عشر قادماً من إمارة الزبير في العراق، وعندما وصل الكويت وجد أن فنونه وأشعاره وأخباره قد سبقته، كما أن بعض الفرق الشعبية الغنائية كانت تعزف بعض الألحان.

ولم يكن ابن لعبون يتوقع أن هذه البقعة الحديثة العهد نوعاً ما حينذاك تتمتع بكل هذه المكانة الرفيعة في مختلف نواحي الحياة تجارياً وعمانياً واجتماعياً وفنياً، فتأثر بما شاهد خاصة وأنه استقبل بحفاوة كبيرة من وجاهة الكويت وتجارها وأهلهما، مما جعله يحييها بقوله:

حيوا المنازل جنوب السيف

ممتدة الطول مصفوفة

**أمشي على سيفها واقيف
في حبها الروح مشفوفة**

دار الخدم والكرم والضييف

دار المناصير معروفة(١)

ولابن لعبون دور كبير في تطوير العديد من الفنون الشعبية مثل السامر والخماري، ولكن انفرد بفن خاص عرف باسم اللعبونيات حمل اسمه إلى اليوم.

وقد أخذ ابن لعبون أصول فنه من سبقوه في هذا المجال وهو كبار الشعراء الشعبيين في الجزيرة العربية مثل: أبو حمزة العامري ورميزان التميمي، وجبر بن سيار النجدي ومحسن بن عثمان الهزاني والشاعر العماني قطن بن قطن ولكن ابن لعبون طور تلك الفنون التي كانت وقتها محدودة وأدخل عليها إيقاعات ونصوصاً شعرية جديدة وغناماً.

أقدم الفرق الغنائية

كما تقدم كانت الفنون الغنائية الشعبية المختلفة مثل أغاني البحر وأغاني الباشية والأغاني الدينية وأغاني الأعراس معروفة في الكويت، وتعزف من بعض الفرق الشعبية حينذاك، ومن أقدم تلك الفرق:

فرقة الدواسر، وكانت تضم عدداً من الأفراد من محبي الغناء والعزف على بعض الآلات الموسيقية الشعبية، وأمتاز بعض أفرادها وبخاصة مؤسساها بصوت جهوري (٢).

وكانت هذه الفرقة تقدم أغانيها واستعراضاتها في المناسبات الوطنية وفي الأعراس والموالد، وتقدم فتنون العرضة والخماري والسامر وبعض الفنون التي كانت معروفة وقتها.



عراب الحرية والتمرد

البير كامو... المتمرد الغربي على الاحتلال الفرنسي

دفاعه المستميت عن الحرية للإنسان في كل مكان وللإنسان الجزائري المستبعد من الاحتلال بشكل خاص.

التمرد على عبودية الرأسمالية

الحياة القاسية اقتصادياً وبالتالي اجتماعياً التي عاشها البير كامو، جعلته يتمرس على العبودية التي تشكلها الرأسمالية والإقطاعية الجشعة التي تستغل الفقراء والعاملين والطبقة الكادحة، فاندفع إلى الإيمان بالاشتراكية، وانضم إلى الحركة المناهضة للفاشية عام ١٩٣٢، ثم انخرط عام ١٩٣٤ في صفوف الحزب الشيوعي، وفي العام نفسه أسس المسرح العمالي في الجزائر قبل أخرج بعض الروايات فيه ..

لقد كان غرراً البير كامو من الانضمام إلى الحزب الشيوعي الفرنسي هو مساندة الوضع السياسي في إسبانيا وليس إيماناً كاملاً بـالماركسيّة، فشارك أيضاً عام ١٩٣٦ في نشاطات اشتراكية جزائرية تناولت

بالناتي ثورة وتمرداً على الفقر والعبودية بالاستقلال عن الاحتلال الفرنسي .. لكن هذا جعله بعيداً عن شركائه في الحزب الاشتراكي الفرنسي، الأمر الذي جعله ينفصل عن هذا الحزب وعن الاشتراكية، ليبدأ جولة جديدة في كفاحه المستميت لأجل الحرية، حتى وإن وقف في وجه بلاده (فرنسا) ضد احتلالها للجزائر.

الكافح للحرية .. فكراً وعملاً

في عام ١٩٣٩ أصبح البير كامو رئيس تحرير صحيفة مسامية كانت الوحيدة التي تتحدث باسم اليسار في الجزائر فبدأ صراعه الممرين مع الرقابة الصحفية العسكرية الفرنسية على الصحف آنذاك، لأن مقالاته التي كانت واضحة وصريرة ضد الظلم الاستعماري للجزائر، كان لها تأثير



وبالتالي ثورة وتمرداً على الفقر والعبودية السياسية والاجتماعية، أنه نشأ في حي يعتبر من أقرن أحيا العاصمة الجزائرية، وهو حي «بلكور» حتى نال شهادة الثانوية وهي الشهادة التي تعتبر السقف الأخير لتعليم الفقراء .. لكن أستاذه شجعه كثيراً وقدم له في مسابقة المنح الجامعية الدراسية، والتي كانت مخصصة للأغنياء فقط! لكن هذا التلميذ النجيب الذي سيحصل فيما بعد على أرفع جائزة عالمية «نوبل»، استطاع النجاح في تلك المسابقة وبالتالي إتمام دراسته الجامعية .. لكن الفقر قبل البوس الذي عاشه في طفولته وشبابه لم يتركه بلا بصمات على صدره، حيث أصيب بمرض السل الرثوي، ليعيش داخله ومعه طوال أيام حياته يعاني منه لكنه لم يثنه عن

لم يتمرس أحد من رموز الحرية على القهر والظلم والاستبداد قدر تمرده .. ولم يمتلك مفكراً وثائراً تلك القدرة على «الثورة» لأجل الحرية وكفالتها للجنس العربي قدر امتلاكه لها .. إنه «البير كامو»، «المتمرد» الأشهر بالفكر الغربي والسياسة العالمية لأجل منح الحرية لدولة مثل الجزائر، حتى وإن وقف ضد بلاده فرنسا المستعمرة آنذاك .. وهو «المتمرد» لا مجرد كتابه الشهير الذي يحمل العنوان نفسه، بل لأنّه عاش وطبق وعاني أفكاره المتمردة على سحق الإنسان تحت آلية الاستعمار والعبودية إنه «البير كامو» صاحب جائزة نوبل لأجل كتاباته في سبيل تحرير الإنسان من ربة العبودية، وهو عراب الثورة الجزائرية لأجل الاستقلال مع أنه فرنسي! من المهد الجزائري .. إلى الاحتلال الفرنسي ولد «البير كامو» في السابع من نوفمبر عام ١٩١٣ في مهد جزائري في قرية «مندو»، بولاية قسنطينة بالجزائر.

حيث كان أحد أفراد عائلة من المستوطنين الفرنسيين بالجزائر إبان الاحتلال الفرنسي هناك .. والدته تعود في أصولها إلى الأسبانية، ووالده «لوسيان» كان عاملاً زراعياً وبالتالي كانت أسرته فقيرة، مات هذا الأب في إحدى المعارك الأولى للحرب العالمية الأولى بين فرنسا وألمانيا أما أمّه «كاثرين» فقد كانت امرأة قوية الشكيمة متقدمة بمشاعر الوفاء، وبالتالي لم تتزوج بعد مقتل زوجها في الحرب، بل ظلت ترعى الأسرة، ومنها البير الصغير حتى ولو أدت الأمور إلى عملها كخادمة في بيوت الأثرياء، لا تفرح كثيراً لأن شقاء الحياة جعلها كادحة متشرحة بالسوداد حزناً على زوجها الفقير. كما أثر كثيراً في نفسية الطفل «البير كامو» الذي نشأ في كنف وأحضان أم كهذه .. وما زاده تأثيراً،

عاش وطبق أفكاره الرافضة سحق الإنسان تحت آلية الاستعمار.

نشأ في أفق رحى الجزائر فأدرك العبودية السياسية والاجتماعية وأثارها المدمرة للإنسان.

كره القهر بكل أشكاله كما كره العنف والدماء فتمرد لا يعرف التأثر أو التحطيم والانتقام.

كتاباته لا تزال نبعاً فياضاً لكل من يسعى إلى التحرر.

بلاده فرنسا، ضد الأسلحة النووية حتى وإن كانت باسم القوة، ضد عقوبة الإعدام وإن كانت باسم العدالة.

وفي الرابع من يونيو عام ١٩٦٠ لقي البير كامو حتفه إثر حادث سيارة .. ليسك الصوت الذي لم يهدأ في مواجهة الديكتاتورية والاستعمار والقهر .. لكن كتاباته ما زالت تقرأ بل يعاد اكتشافها على ضوء مواقفه العملية المسجلة بتاريخ تحرير الجزائر، تلك الكتابات والمواضف ما زالت نبعاً فياضاً لكل من يسعى إلى التحرير، أيًا كان نوع هذا التحرير.

م.ن.

كامو .. في حرب الاستقلال الجزائرية

عندما اندلعت حرب الاستقلال الجزائرية عن الاستعمار الفرنسي، عام ١٩٥٤، كان لا يلبر كامو دور بارز في تلك الحرب، حيث كان يؤمن بالأهمية القصوى والأحقية الكبرى لبلد كالجزائر في استقلاله وتمتعه بحكم ذاتي، وكذلك بالنسبة إلى الدول العربية الأخرى التي كانت تعاني هي الأخرى من الاحتلال الانجليزي أو الفرنسي أو الإيطالي، فكان يرى أنه من حق الشعوب أن تحصل على حقوقها السياسية وحريتها حتى ولو كانت مجرد فيدرالية خاصة .. وعلى مستوى آخر من النضال العلمي لا يلبر كامو لأجل إقرار الحرية للمستعمرين كان يساعد السجناء السياسيين الجزائريين (سرا) والذين كانوا يواجهون عقوبة الإعدام في السجون الفرنسية الاستعمارية بالجزائر لذلك كتب سلسلة مقالات رائعة ضد عقوبة الإعدام خصوصاً السياسية في صحيفة «الاكسبرييس» لينال عنها جائزة نوبل في الآداب. كما دافع عن حرية السجناء المظلومين ظلماً اجتماعياً. ومن هؤلاء السجناء ذلك السجين الشهير «هودان» الذي اتهم ظلماً بالتزوير، فتابع البير كامو قضيته، وظل يحضر جلسات محكمته ويكتب في الوقت ذاته لإثبات براءة ذلك الموظف البسيط الذي اتهمه السمسارة بالتزوير وأدخلوه السجن، لأنه كان خطراً على فساد هؤلاء.. وظل البير كامو .. بجانب ذلك السجين، إلى أن استرد حريته وتمت تبرئته.

لقد كانت قضية العدالة أو الحرية الاجتماعية من أهم القضايا التي اهتم بها البير كامو، فهو الأديب والصحافي والسياسي الذي يكره القهر بأشكاله السياسية والاجتماعية، لكنه أيضاً كان يكره العنف والدماء حتى وإن كان لأجل التحرير فقد دعا إلى نوع من «التمرد» البناء، التمرد الذي يسمى بالإنسان المقهور، ولا يعرف التأثر أو التحطيم أو الانتقام.

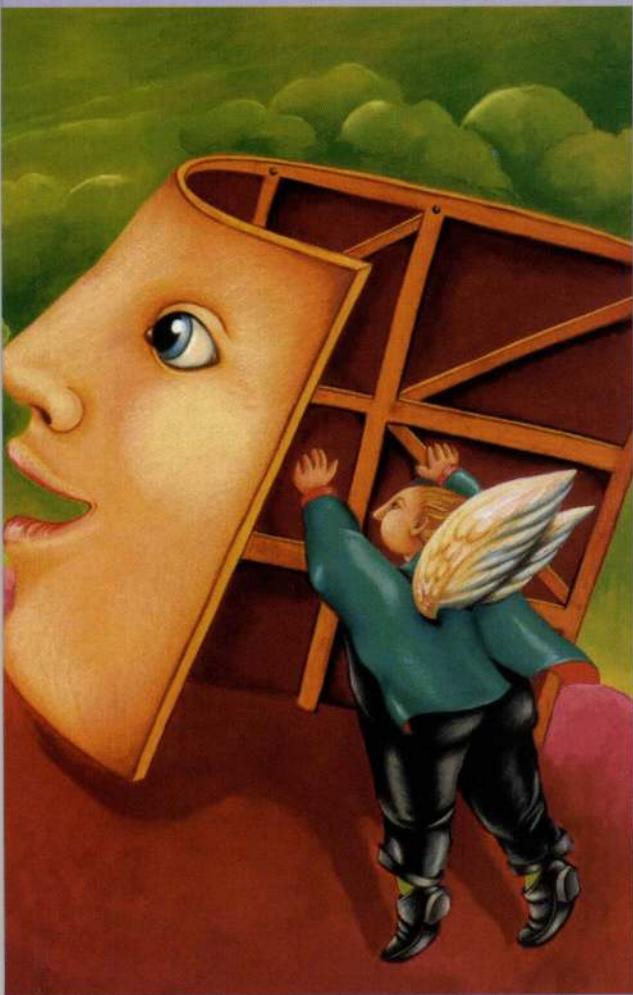
لقد كانت لا يلبر كامو مواقف رائعة ضد كل أشكال العنف والقهر وسلب الحرية، فوقف ضد الطغيان الاستعماري حتى وإن كان صادراً عن

قوى على الشباب سواء الجزائريون أو المثقفون الفرنسيون، ونتيجة لهذا الصراع مع المؤسسة العسكرية الفرنسية وعدم امتثاله لتحذيراتها له، استبعد البير كامو من الجزائر إلى فرنسا عام ١٩٤٠ فكان بذلك أول صحافي يطرد من الجزائر مع أنه فرنسي!

ولأجل توصيل صوته وأصوات الآخرين في الدعوة إلى الكفاح ضد الاستعمار، سواء الألماني لفرنسا أو الفرنسي للجزائر، أسس البير كامو صحيفة لأجل توصيل صوت الحرية للجميع، وكان اسمها «الكافح» والتي ظلت لسان حال الكفاح الحقيقي ضد العبودية ورمزاً مؤثراً من رموز الحرية.

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية ترك البير كامو تلك الصحيفة لأنها لم تعد تحقق رسالتها نحو تحقيق الحرية للشعوب المقهورة، وسافر إلى فرنسا ليتقرّب إلى الفيلسوف سارتر، لكن انتقاداته المستمرة لـ«الستالينية» جعلته مكرهواً من الشعوبين وأبعده عن سارتر أيضاً.

وفي عام ١٩٥١، بعد نوبات شديدة من مرض السل الرئوي وعزله في مصحة لمدة عامين، نشر البير كامو كتابه الشهير جداً «التمرد»، تعبيراً عن تمرد ضد كل أشكال العبودية والرق، وقدم فيه تحليلًا فكريًا عميقاً للتمرد والثورة على العبودية، وأعلن فيه رفضه الواضح للشيوعية، مما هيج عليه أو ضدّه الكثيرين وقبّل الكتاب بفقد عنيف من أصحاب المصالح في بقاء الشعوب مستعمرة وإن كان ذلك المجهود الفكري من البير كامو ضد العبودية، فقد كان له أيضاً مجھود عملي لتحرير الشعوب .. وفي عام ١٩٥٢ تفرغ للعمل الإنساني البحث لرفع المعاناة عن الكادحين أو المقهورين .. مما أهله لعضوية في منظمة اليونسيكو، لكنه استقال من هذا المنصب احتجاجاً على قبول عضوية إسبانيا التي كان يحكمها الجنرال المستبد المستعمر «فرانكو» كما لم تكن أفكاره اليسارية عائقاً له في انتقاده الشديد للسوفيت الذين قاموا بعمق انتفاضة العمال في برلين الشرقية عام ١٩٥٣، وفي المجر عام ١٩٥٦.



من فيلم «سلاماً بومبى»



الوطن ونرا عن الموية في أفلام ميرانير

استعمال الإجهاض للتخلص من الأجنحة الإناث غير المرغوب فيها.

من وجهة نظرها الشخصية ترى ميرا أن السينما الوثائقية في الهند بقيت في دائرة المحاولات. وذلك بسبب العوایر الموضوعية وعدم التدخل. وسعت في أعمالها إلى بذل «سيطرة أكبر على عناصر الحركة والدراما والوجه». هذا قادها إلى التحول لتجريب الأعمال الروائية. وكان أول عمل تقدمه هو «سلاماً بومبى!» Salaam Bombay الذي أبرز قدراتها كمخرجة سينمائية متميزة، ونالت عنه الجائزة الكبرى في مهرجان كان للسينما كأفضل المخرجين الصاعدين.

يتحدث هذا الفيلم عن الأطفال البؤساء المشردين في شوارع بومبى. البطل في هذا الفيلم صبي يدعى كريشنا، يعمل في مقهى، حيث يقضى أوقاته في تلبية طلبات الزبائن الذين يتعجبون منه المقهى من شتى الأصناف: النسوة والسماسرة القوادين والمتجرين بالمخدرات. وفيما كان كريشنا يدرك أن عليه أن يوفر مبلغ 500 روبيه قبل عودته إلى القرية، يقدم الفيلم رسالته من خلال بيته المقهي باستعراض السلوكيات المحبطية للزبائن بمختلف أنواعهم من حوله.

المزاج العام في هذا الفيلم يفوح بالكراء. أما نقاط القوة فيه فتكمّن في واقعيته المباشرة والقاسية. كل مشاهد الفيلم مصورة في الواقع ذاته. وقلة من الممثلين كانوا من المحترفين. ويبدو أن المهاجس الذي دفعها لإخراجها كان تصوير بشاعة الفقر والبؤس الضاربين

من علم الاجتماع إلى السينما

ولدت ميرا نير عام 1957 في باتششور، بأوريسا، لأب يعمل موظفاً مدنياً. ودرست في المدرسة الكاثوليكية الإيرلندية في شملا، ثم التحقت بجامعة دلهي لدراسة علم الاجتماع والمسرح. وفي عام 1976 حصلت على منحة دراسية في هارفارد (أميركا)، وهناك حولت اهتمامها نحو السينما.

على أن أول تجربة لها في السينما كان فيلم «يوميات شارع المسجد الجامع» (1979)، وهو موضوع رسالتها للماجستير أيضاً. وهو فيلم توثيق يسخر من حياة المسلمين في دلهي القديمة.

أما فيلمها الثاني الوثائقي الثاني بعنوان «بعيداً جداً عن الهند»، فيذهب إلى تصوير حياة بائع متوجول للصحف من أصل هندي ويعمل في نيويورك، ومشاعر الغربة التي يكابدها بعيداً عن زوجته وطفله في الهند.

لكن في سنة 1985 قدمت ميرا عصارة تجربتها الفضة آنذاك في الفيلم الوثائقي «الملاهي الهندية»، الذي لاقى نجاحاً واسعاً. وهذا الفيلم حول حياة الساقطات في تلك النوادي الليلية بمدينة بومبى، أو كما وصفته هي بقولها إنه اكتشاف للمثلث الأبدى، لأسلوب الحياة في الهند. فهو يستعرض حياة الرجل الهندي من الطبقة المتوسطة - وكيف يفرق بين الساقطة (التي يراها في الملهى) والمرأة الفاضلة (الزوجة). في العام التالي قدمت ميرا فيلمها الوثائقي «أبناء حسب الرغبة»، حول مشكلة قتل الجنين الأنثوي، وسوء

حين كان الناس يسألونني «أين تسكنين؟». كنت دوماً أجيب، أسكن في قضاء الهند». لكن ربما كانت هناك طريقة أخرى للإجابة، هي «العيش» مع الذات. هكذا، أنت تحمل وطنك معك أينما ذهبت، وهذا رائع، مع أن الحقيقة مرعبة». بهذه الكلمات تلخص المخرجة السينمائية والكاتبة الهندية الأصل ميرا نير موقفها من الوطن والهوية الثقافية، حتى حين تكون تعيش في المناية.

من الواضح أن هذا الكلام الذي تقوله السينمائية ميرا نير نوع من الفهم، نظرة إلى الأشياء التي هي ملك للأخرين في وطنك، لوطنك كله. وهو ما أكدته في مسيرتها الفنية المميزة منذ إنتاجها فيلم «سلاماً بومبى» (1988)، وهو الفيلم الذي نال يومذاك جائزة الأوسكار كأفضل فيلم أجنبي، وحقق شعبية هائلة في منطقة جنوب آسيا كله. وقد أصبحت هي اليوم أشهر المهاجرين الهنود في هذا المجال الفني. لكن هذا لم يكن مستهجنا منها وهي التي قطعت شوطاً من حياتها مرتجلة من بلد إلى آخر عبر العالم لاستكشاف الهويات الثقافية لكثير من الشعوب. ومع هذا كان في انتظارها تكريمه آخر أيضاً، جاءها هذه المرة على مشاركتها عام 2001 بمهرجان البندقية للسينما على فيلمها فيلم «زواج في موسم الأمطار»، الذي نالت عليه جائزة الأسد الذهبي Golden Lion Award.

لكن الفيلم الجدير بالتوقف هو «عرض الغرور» (Vanity Fair 2004) إذ إنه ثبت أقدامها في رحاب هوليوود بقوة كسينمائية متمكنة.

هذا الفيلم المذهل والمثير يستمد أصوله من رواية شهيرة من الأدب الكلاسيكي بهذا العنوان للكاتب وليم ميكبس تاكرى. وهو عرض لواقع الحال في إنجلترا بعد مرحلة الاستعمار، وتم تصويره في بريطانيا والهند، ويتضمن عرضاً موسوعياً هائلاً من الموضوعات المتعددة ما بين مسائل عاطفية لا تجد تقديراً مقابلاً لها والإغواء عبر الأغاني وانتهاء بتضحيه الأم من أجل ولدها. ذلك أن الممثلة الهوليدية بيكي شارب تستخدم سعة حيلتها وجسدها لتسلق السلم الاجتماعي في المجتمع البريطاني.

كان أحدث مشروع تقرر ميرا العمل عليه إنتاج فيلم سينمائي عن رواية «هاري كونسرو» بعنوان «الانطباعي» The Impressionist وهو قصة تعالج الهوية الوطنية والصراع عبر العالم لكن قبل أن تبدأ العمل في هذا المشروع غيرت أفكارها وتوجهت إلى إخراج رواية رائعة، حائزة على البوليتزر، عنوانها «السمى» Namesake، وهي أول رواية يكتبها جومبا لاهيري. أحداث الرواية الجديدة تغطي مجتمعي القارتين، آسيا وأميركا، وتمتد على مدى ثلاثة عقود، لتحكي قصة تجربة الهجرة، والصراع الحتمي بين الثقافات وال العلاقات بين الأجيال.

إنها حكاية أسرة الجانجولي التي تقطن في كلكتا. فالأسرة ترحل إلى نيويورك وتحاول أن تمزج بين أسلوب حياتها الجديدة وثقافتها السابقة. ويتجذر الصراع الداخلي المركب بين حنين الوالدين إلى الحياة في كلكتا وثقافتها الهندية، والتمزق الداخلي في نفس ابنهما (غوغل) بين تحقيق تراثه الهندي وبين حياته الجديدة. ومع صعودها في عالم السينما تثبت ميرا نير أصالة انتمائها لهويتها الوطنية والتزامها الدائم بالأرض وثقافة الأجداد.

عن مجلة : جامينا

الزواج في موسم الأمطار

تقول ميرا نير «أنا أقدم أفلاماً من شأنها دفع الناس إلى التفكير في الحياة. لا يمكنني أن أتعامل مع أفلام مارقة كالتي ما أن ينتهي عرضها حتى تنسى. أريد إرساء إطار حاد متعدد المستويات. ولهذا فكرت في فيلم زواج في موسم الأمطار Monsoon Wedding لأنه لم تقدم لنا أي أفلام عن الهند التي نعرفها. وهذا الفيلم يتحدث عن مجتمع إقليم البنجاب كما نفهمه».

هذا الفيلم يتضمن خمسة محاور حكائية، كل منها يعني بجانب من جوانب الحب - الحب الأعمى - الحب الناضج عند والدي العروس، الحب المخالف والذي في غير مكانه (كما لدى الأحداث)، الحب الشهوانى، العنف في الحب. وقد استخدمت ميرا نير مناسبة العرس كإطار فني لا أكثر. والفيلم بالتالي يمكن اعتباره قصيدة حب تقدمها بلادها، الهند. وحتى هنا لا تخلط ميرا في التزامها بين نموذج أصحاب الحظوظ (التنتووالا) بهواتفهم الخلوية ونموذج المسحوقين الخدم (التيلوتاما).

ويتساير هذان النمطان الحيatican معاً في إطار الفيلم، حتى يصل الحدث إلى الذروة مع إقامة مراسم الزواج، لتتأتي «ديمقراطية» الأمطار الموسمية وتفرق القراء كما تفرق الأغنياء على حد سواء. ونلاحظ في الشهد الأخير وجود نوع من التحرير، وكأن الطبقتين الاجتماعيتين قد توحدتا واندمجتا معاً. من المحتمل أن ما تريده المخرجة أن تقوله من خلال ذلك: أجل، هناك ثمة فرحة أمل في الحياة. لكن، على أي حال حق الفيلم نجاحاً باهراً داخل الهند وفي الخارج فقد حصل على جائزة في إيطاليا، بالإضافة إلى أنه رشح لجائزة غولدن جلوب Golden Globe Awards. كما يقتضي مسامع هوليوود على صوت هذه السينمانية القادمة من الشرق.

المسيرة لم تتوقف

بعد ذلك قدمت ميرا نير فيلماً بعنوان «المعنى الهرستيري» Hysterical Blindness، الذي يتحدث عن الفتيات الباحثات عن الحب في شوارع نيوجيرسي.

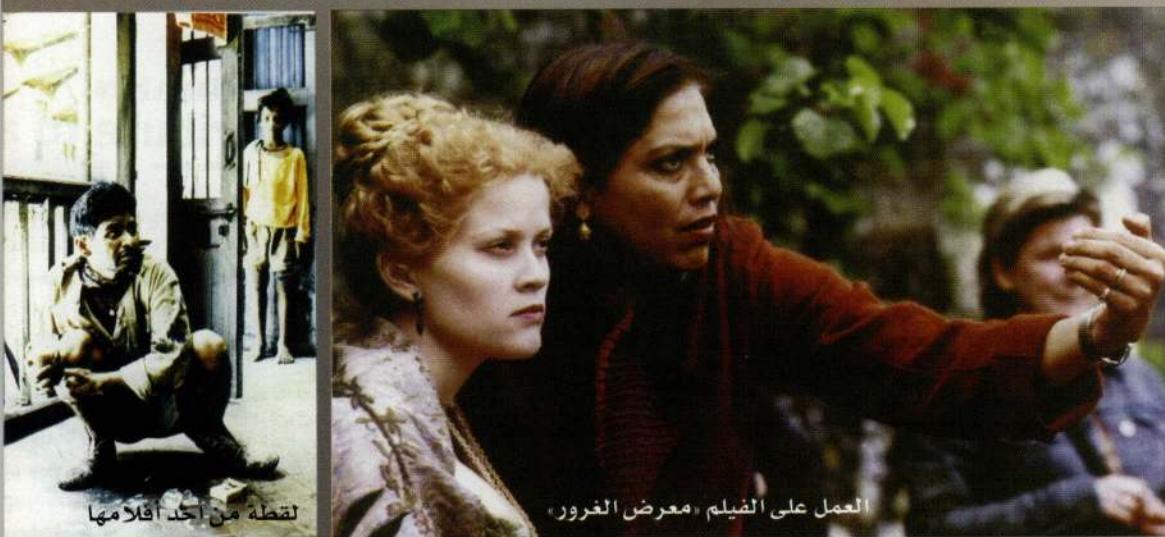
اللذين يحيطان بالناس في هذه المدينة الصاخبة. لكنه لا يقدم أي حل لمشكلات المجتمع والانتقادات الموجهة إلى موقف الحكومة من هذه المشكلات. لكن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن الفيلم لم يحقق رسالته المرغوبة. فقد ساعد في توعية الناس وتصيرهم بالواقع البائس والإحباط الذي يلف حياة الأطفال المشردين. وأنهى هذا إنشاء جمعية سلام بالاك في يوميابي، بهدف تحسين أوضاع هؤلاء الأطفال.

ثم بعد سنتين جاء فيلم «مسيسيبي ماسالا» Mississippi Masala ليوسع من أفق العمل السينمائي عند ميرا نير. ويعرض هذا الفيلم الجديد للتواترات العرقية ببني الأقلية في الجنوب. نحن هنا أمام أسرة هندية تطرد من أوغندا نتيجة طغيان أعمال الفوضى القومية هناك، وتضطر إلى السفر إلى الولايات المتحدة. لكن الأسرة تعاني مرة أخرى من مشكلة جديدة تتمثل في إقامة الأبناء علاقة غرامية مع شاب أمريكي من السود. ومع ذلك، هذا الفيلم يتضمن أكثر من مجرد قصة حب بين شاب وفتاة من عرقين مختلفين، بين البطلة «ساريتا شودهوري» والنجم الأميركي «ديتيل واشنطن». فهو في الواقع قصة بغية عن الترحيل القسري، ناهيك عن إقائه الضوء بطريقة ساخرة على العلاقات العرقية بين الأميركيين من أصل أفريقي وبين الهند.

وكانت ميرا قد انتقلت من أمريكا إلى أوغندا عام 1991، فأثارت انتقالها عن إخراجها فيلمها الجديد «عائلة بيريز» (1993) The Perez Family. وهذا الفيلم من النوع التراجيكوميديا بنته على أساس انتقال اللاجئين الكوبيين من «مريل» إلى ميامي، على غرار ما حدث للارتفاعات الكوبي «خوان بيريز»، الذي ما أن أطلق سراحه من السجن حتى هرب إلى ميامي على متنه إحدى السفن. وفي السفينة قابل «دوتي بيريز» التي كانت بدورها هاربة من بلادها. ولدى وصولهما إلى الميناء ظن المسؤولون أنهما زوجان. ومن ثم تبدأ المشاكل والساخرية.

من خلال هذه الأفلام يتضح لنا أن ميرا تبدى اهتماماً ملحوظاً بالفئات المهمشة الفقيرة في المجتمع، في الهند كما في أي مكان آخر. وفي إحدى المقابلات معها قالت «إذا بحثنا عن خيط مشترك يجمع بين أعمالى، يتوجب على الاعتراف أننى ميالة دائماً إلى التحدث عن حكايات القراء الذين يشغلون حيزاً هاماً في المجتمع».

الفيلم الرابع لميرا كان بعنوان «كاميرا سوترا: قصة حب» (1997). الذي صور في إقليم راجستان بالهند. وترجع أحداثه إلى قصة أدبية وقعت في الهند خلال القرن الخامس عشر. وقد وصفته بأنه «يرمي إلى توضيح المفهوم الحقيقي للحب وتناولنا المفلوط له». وهو بهذا المعنى حول الحب والغيرة والهوى. إلا أن هذا الفيلم شكل منعططاً بالنسبة لميرا نير، إذ يبدو أنه يسير في اتجاه آخر مختلف عن أعمالها السابقة. وهو مليء بالتزويق، لسبب وحيد، هو أنه يتعلق بحكاية خيالية من الماضي البعيد.



العمل على الفيلم «عرض الغرور»



الهوية الإسلامية في أدب محمد إقبال

ويقدم إقبال تفسيراً عقلياً للقبلة الواحدة التي يتوجه لها المسلمون أثناء صلاتهم لله وطوفهم، حيث تتجه قلوبهم عندها، فإن الإسلام أراد أن يكفل وحدة شعور الجماعة، إقامة للتوحيد وشاشة لجو العدل والتقى، ليقضى على الشعور بالتفوق الجنسي والعرقي واللغوي عند أتباعه من الأمم المختلفة.

على أنها لا تستطيع أن تتجاهل أن وضع الجسم عامل حقيقي في تعين اتجاه العقل، و اختيار قبلة واحدة لصلة المسلمين أريد به أن يكفل وحدة الشعور للجماعة. وهي أنها تخلق على العموم الإحساس بالعدالة الاجتماعية، وتقوى أواصره بقدر ما تتجه إلى القضاء على الشعور بالطبقات أو تفوق جنس من المتعبددين على جنس آخر.

(نفسه: تجديد التفكير الديني في الإسلام (١٠٨)

وهذا هو السر الذي يصدر عنه الدين كله والقوة كلها والسلطان كله والحكمة كلها، فلا يبقى خوفاً ولا شكلاً ولا ضعفاً ولا إحباطاً، بل يبعث الأمل ويذلل الصعاب، ونحن كامة ليس لنا وجود إلا بالتوحيد، فالتوحيد روح الأمة، وبه حياتها وقوتها، وإن الحجر الجامد القاسي ليتحول قلباً نابضاً بالحياة والرحمة

باتوبيدي، وإن الكون كله ليحسن المعبة والعشق من آثار التوحيد:

هو قلب إن حواها حجر

كل شيء تُنَزِّه مدر

قد أضاء القلب من وقدتها

واستشاط الكون من آهتها

(إقبال، د. محمد: ديوان الأسرار والرموز (١٣٢)

يبين محمد إقبال الشاعر المسلم الباكستاني المعروف رؤيته للخصائص التي تميز بها الأمة الإسلامية، فتعطيها شخصيتها الذاتية، وتبرزها كياناً يقوم على صلة السماء بالأرض، وهي بهذا المعنى كيان يستمد وجوده من السماء أصلاً.

فمقصدها قائم على تحقيق الحرية والعدل والأخوة بين بنى آدم جميعاً لا يحرم أحد من ذلك. وهي مؤسسة وفق مقتضي ما يؤدي إليه التوحيد، كما أنها أمّة رسالية تحمل دعوتها إلى الناس كافة، ولا تتجه في زمان معين ولا في مكان محدد، فوطن المسلم كل أرض يقام فيها الإسلام، وإن الله تعالى ليجدد على رأس كل حقبة من الزمان أمر هذه الأمة.

والأمة الإسلامية أمّة نظام وقانون، وقانونها هو القرآن الكريم الذي به تضبط أعمالها وتقيم عليه أحكامها، وتشيع النظام والأمن والعدل وفق مقتضاه، وإليه تحكم في شؤونها كلها.

ويرى إقبال أن التكليف الشرعي يدل على الثقة بعقل المكلف، فالله تعالى لم يكلف البهائم ولا غير الإنسان، ومن هنا يستدل أن التكليف الشرعي يدل على نضج العقل الإنساني والثقة به، وما التأدب بالأخلاق القرآنية والتمسك بالسلوك الإسلامي إلا دالاً على حسن سيرة المسلمين في التخلق بأخلاق نبيهم واتباعه، مما يبث روح المحبة والرحمة والتقوى فيما بينهم، فكلما حقق المسلم في نفسه هذه المعاني الأخلاقية كان أقرب إلى المصطفى ﷺ.

ويعتبر إقبال أن للأمة الإسلامية مركزاً واحداً يومه المسلمين، وتميل إليه قلوبهم وأرواحهم وهو الحرم المكي، وهو ضروري لربط المسلمين في أنحاء العالم جميعاً بمركز واحد. ولا ينتهي الأمر عند هذا الحد، فإن التوحيد هو الذي يفرض وجود هذا المركز الملموس، وبهذا ينتقل المسلم من المادي إلى المجرد، ومن الملموس إلى المحسوس، مما يحقق الاجتماع الحقيقي للأمة الإسلامية وفق مقتضى المراد الإلهي.

ومن أجل ذلك كانت الأمة الإسلامية مأمورة بتسخير قوى العالم والإفادة من خيرات الأرض والسماء، وتحقيق ذاتيتها بتحقيق ذاتيات أفرادها، مما يؤدي إلى حفظ السنن المتوعنة في حياة هذه الأمة، وضبط العلاقة فيما بين الفرد ونفسه ومجتمعه وعائلته.

غير أن «إقبال» يرى في التوحيد مصدرًا تتحقق منه الخصائص الأخرى جميعها، وهو في هذا محق، فبهذا التوحيد يتحول كل شيء إلى قوة عظيمة مؤثرة فاعلة في هذه الحياة.

■ يرى إقبال أن التكليف الشرعي دليل الثقة بعقل المكلف وهو دليل نصح الإنسان.

■ الأمة الإسلامية لا يحيط بها الزمن وهي غير قابلة للفناء لأنها من نسمة الحق ونفخته.

■ قلب المؤمن لا يهنا بوطنه ولا يقرئه مكان وإن مال إلى أرض الإسلام.

■ يحذر إقبال من خلط الدين بالفلسفة فهي لا تصلح لقيادة مجتمع فضلاً عن قيادة الحياة.

■ وحدة الوجود لا أساس لها من القرآن ولا يمكن أن يقوم التوحيد عليها فالآمة الإسلامية تقود العالم ولا تفني فيه.

وضع الجسم - كما يرى إقبال - عامل حقيقي في تعين اتجاه العقل، وهذا التحليل لم أطمئن إليه أطمنانا يذهب ما في نفسي من التساؤل عن سر أمر التحول عن بيت المقدس إلى البيت الحرام، في وقت كانت الأصنام فيه لازماً موجودة في البيت الحرام. فإذا كان الأمر كما يقول إقبال فليس من الضرورة بمكان أن يجري هذا التحول.

ولكن للأمر - على ما أرى - تفسير آخر، وهو خروج النبوة من الأرض التي امتلأت بالفلسفة، وعجلت بتأويلات العقلية المجردة، إلى حيث صفاء الفطرة ونقاء السريرة، ومن هنا كان استمرار دعوة أبينا إبراهيم عليه السلام في إقامة الدين الواحد على الأسس الصحيحة الفطرية التي أراد الحق سبحانه وتعالى أن يهدى إليها الناس، وكان لإسماعيل هذا الشرف.

«إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منك أنت السميع العليم» - البقرة ١٢٧.

وينطلق محمد إقبال إلى تصوير الآمة الإسلامية آمة لا يحيط بها الزمن، فهي غير قابلة للفناء، لأنها من نسمة الحق ونفخته، وتقوم على أصول خالدة، فلا ينال منها الدهر، وكم عرضت لهذه الآمة من فتن .. ولكن المصائب والفتن كانت تزول وتبقى هذه الآمة الإسلامية ثابتة على الدهر، قائمة على مر الزمان: آمة الإسلام تبقى أبداً وأذان الحق فيها خلداً

أحيت العشق قلوب تسعر
شبها من (لا إله) الشر

(يقصد كلمة التوحيد)
(إقبال، د. محمد: ديوان الأسرار والرموز ١٢٧)

بن زهير الشاعر «^١» يصف النبي ﷺ بالمهند في قصيده (بانت سعاد) في البيت الذي يقول فيه:
إن الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيف الله مسلول
فاستحق عليه الشكر والثناء^٢

وكيف يمدحه بالسيف الهندي وهو عربي فيحظى بكل التجليل والإجاده^٣ إلا يبدل هذا على رسالية الدين الإسلامي^٤

إن الذي شهد المعراج في أفلال السموات لا يننسب لأرض، وهو الذي حب إليه من دنيانا التي نحياها ونشيئها ثلاثة أشياء، ومن كان ذا نباهة فليعلم لماذا قال: (من دنياكم^٥) «^٦ إن في ذلك دلالة على أن المؤمن يعيش الحياة بأبعادها كلها، ويتمتع بحالها كلها:

قلينا الحقيق يأبى موطننا
ريجه العاصف تابي مسكننا

ليس من هند وروم قلينا
ما سوى الإسلام فيه أرضنا

كعب الشاعر في خير العباد
أنشد المدحه من بانت سعاد

نظم الدر منيراً في ثناء
من سيف الهند سيفاً قد دعاه

من علا الأفلال، فيه رفعة،
لم ترقه لبلاد نسبة

قال: (سيف من سيف الله) قل،
يا نصير الحق، زوراً لا تقل

وكذاكم قال ذو القدر العلي،
من سناء كحل عين الرسل:

لي من دناكم قد حبها
بعض ما فيها حلال طيباً

إن تكون سر المعاني تعلم
فافهم النكتة في (دنياكم)

(إقبال د. محمد: ديوان الأسرار والرموز ١٠٢)

ينتقد إقبال ثقافة آسيا ثم يعمم الانتقاد إلى العالم القديم كله، لأنهم تناولوا الحقائق بالنظر العقلي فقط، فكان فكرهم مجرداً من القوة، وهذا الفكر لا يمكن أن تقوم عليه حضارة إنسانية تدوم، فقد تصوروا أن الحقائق لها عالم خاص بها يتعرف عن هذه الحياة التي نعيشها، ولكن القرآن الكريم ينفي ذلك، بل يؤيد التغيير والتجدد ضمن الحياة الإنسانية المعيشية، فلا تقوم حضارة قوية باقية دون هذا الأساس العظيم.

إن الحقيقة تثوي في نفس مظاهرها، وإن كانت كالإنسان يعيش في بيئة كؤود لا يسعه أن يتجاهل عالم المرئيات، والقرآن يبصرنا بحقيقة التغيير العظيمة التي لا تنسى لنا بغير تقديرها والسيطرة عليها

ويرى إقبال في التوحيد عماداً يقوم عليه فسطاط المسلمين، حيث يتساوى به المسلمون جميعهم، مهما اختلفت أعراضهم وتباعدت أوطانهم، فكثير من الأمم السابقة أقامت دولتها على الأنساب فباءت بالبوار، وأشادت مدنيتها على الحدود فانتهت إلى الأضمحلال والزوال. وهذه الأعراق والأنساب تحدد الأجسام دون الأرواح والأمال، ولكن المؤمن له في الحياة نبراس يهديه، والمؤمن يحيا في هذه الدنيا وقلبه متعلق بالله، أما عقله وعمله ففي عالم الشهود:

أمم قد عبدت أوطانها
وبيت من نسب بنياتها

أتري الأوطان أصل الأمم
تعبد الأرض بها كالصنم

هذه الأنساب فخر السفهاء
حكمها في الجسم، والجسم هباء

ولنا في الحق أَسْ أَخْر
هو في الأباب منا مضمر

قد خلصنا من حدود وقيود
قلينا في الغيب إذ نحن شهود

(نفسه ١٣٤)

والمؤمن الحق - كما يراه إقبال - لا يضيع في الوطن والأرض، بل إن الوطن ليضيع في قلبه ووجданه، بل إن هذا الكون كله ليس به قلب المؤمن، ولنا في رسول الله - ص - أسوة حسنة، فقد هجر الدار التي هي بها ولد ونشأ، وإليها انتسب أبوه حتى إنه لما دانت له مكة في الفتح لم يعد إليها، وفي هذه دلالة على أن وفاء المؤمن ودعوه أعظم عنده من كل وطن، فلقد أحسن المصطفى - ص - أمّة رسالية كان التوحيد أساس قيامها، وفي إباحة السجود للمسلم في كل مكان من الأرض دلالة واضحة على عدم انحصر دعوة الإسلام في مكان واحد من الأرض:

لا ترى المسلم يحويه عطن

تاَهَ في قلبه كل وطن

(العطاء للإبل كالوطن للناس)

حصل القلب ففي وسعته

ضل هذا الكون في فسحته

عقدة الأقوام حل المسلم

حجر الدار النبي الأعظم

أمة ملء البرايا أَسْسَا،

وضع التوحيد فيها أَسْسَا

أَسْبَغَ الفضل علينا وهدى

صَرَّ الأرض جميعاً مسجداً

(نفسه ١٣٦)

ويرى إقبال أن قلب المؤمن لا يهنا بوطنه ولا يقر به مكان، فإنه إن مال إلى مكان فإلى أرض الإسلام، ثم يلف الأنظار إلى بارقة لطيفة، فما الذي جعل كعب

أصولها، وسارت بها نحو مهاو من الضياع والقتل، فأبطلوا شعائر الإسلام، وسخروا من مقاصده، وأشاعوا تفسيرات باطنة لا تتسع معه في سموه ورقبه، ووجدوا في الجبرية مرتعاً خصباً لنمو آرائهم وأفكارهم، كما وجد أصحاب السياسة - في بلاد الشام - خيراً معيناً لهم في حكمهم:

وفي شعراء العجم جماعة في طبائعهم الميل إلى الإباحة، وهذا الميل في إيران من قبل الإسلام، وقد صد الإسلام حيناً هذا الميل الطبيعي إليها، ثم عاد فظهر حينما وجد فرصة، ووضع للمسلمين أساس أدب يقوم على وحدة الوجود. وقد افتقد هؤلاء الشعراء في إبطال شعائر الإسلام بأساليب عجيبة خداعية، وأبانوا عن وجه مذموم في كل أمر ممدوح في الإسلام، وأضرت الجهاد مثلاً فقد التمس شعراء العجم معنى آخر في هذه الشعيرة التي يراها الإسلام من ضرورات الحياة.

(نفسه: ديوان الأسرار والرموز ٩١)

ويرفض إقبال أن يسلم بأن وحدة الوجود لها أساس من القرآن الكريم، وينفي أية صلة للقرآن بها لأن الأصل الذي تتبثق منه وحدة الوجود تصور الوحدة بين الخالق والمخلوق بينما يؤكد القرآن على التباين القائم والمغايرة الحادة بين العابد والمعبود، فوحدة الوجود لا يمكن أن يقوم التوحيد على أساسها، وهي ليست من خصائص الأمة الإسلامية التي عليها أن تقود العالم لأن تقنن فيه:

إن تعليم الإسلام واضح بين، وهو أن ذاتاً واحدة تستحق العبادة، وأن كل الكثرة التي تراها في العالم مخلوقة.. وليست عقيدة وحدة الوجود من تعليم القرآن الكريم، فإن القرآن يبين المغايرة التامة بين الخالق والمخلوق، أو العابد والمعبود.

ويذهب إقبال إلى التأكيد أن شعر التصوف لا ينتشر ولا يجد له القبول إلا في زمن الضعف السياسي، حيث يرکن الناس إلى ترك الدنيا والاتجاه إلى الزهد والذهول عن الحياة، وفي هذا عين الضعف والهزيمة والخوار.

كل شعر التصوف ظهر في زمان الضعف السياسي لل المسلمين، وكل أمة يصيغها ضعف كالذي أصاب المسلمين بعد غارات التتار تتبدل أنظارها، ويحمل الضعف في أعينها، وترکن إلى الدنيا، وفي هذا الترك تخفي الأمم ضعفها وهزيمتها في تنازع البقاء، فانتظر إلى مسلمي الهند، لقد انتهى الأدب عندهم إلى فن الرثاء فقط.

(نفسه ٩٢)

إن المؤمن القوي لا يقبل الظلم ولا الاستسلام بل هو رسول للأخوة في هذا العالم، وبه يصلح قيام الأمة

الإيراني، حيث تظهر هذه العناصر واضحة جلية: غير أن تاريخ الفكر الإسلامي يقدم ظاهرة لها خصوصيتها الذاتية، ففي فارس - ولعل ذلك راجع إلى تأثير سامي - يلتزم فيه التأمل الفلسفى بالدين التحاماً لا تنفص عن عراه، والمفكرون ذوو الاتجاهات الفكرية الفلسفية الجديدة هم أنفسهم - دائمًا

أو غالباً - مؤسسو حركات دينية جديدة أيضًا.

ولقد نجد - على أي حال - بعد الفتح الإسلامي العربي فلسفة خالصة منفصلة عن الدين على يد الأرسطيين المسلمين ذوي النزعة الأفلاطونية الحديثة، ولكن هذا الانفصال كان مجرد ظاهرة عابرة، والفلسفة الإغريقية برغم أنها بنت غريب في التربة الفارسية صارت بعد وقت قصير من دخولها تلك البلاد جزءاً لا يتجزأ من مكونات الفكر الفارسي، ولتن استخدام المفكرون اللاحقون - سواء منهم النقاد أو المدافعون عن الحكم الإغريقية - اللغة الفلسفية لكل من أرسطو وأفلاطون فإنهم كانوا في غالب الأمر متاثرين بمنطلقات دينية، وتلك

حقيقة يجب أن توضع موضع الاعتبار كي يتضمن فهم الفكر الإيراني بعد دخول الإسلام فيما دقيقاً نافذاً.

(نفسه: تطور الفكر الفلسفى في إيران ١٤)

ولهذا يحاول إقبال أن يبتعد في تشكيل شخصيته الروحية عن كل تأثر بالفلسفة مهما كان مصدرها، وإن كان شديد الحذر والتحذير من الفلسفة الإيرانية فلأن صلة المسلمين بها صلة مباشرة، وتشكل أنموذجًا خاصاً من نماذج الانحراف عن المنطلقات الفكرية الأساسية في الإسلام، فكثير من هؤلاء لم يدخل الإسلام قلوبهم، بل إن من شعراء العجم من كان في قلبه ميل إلى الإباحة في الأصل، وعند دخول الإسلام تراجع هؤلاء عن إظهار هذا الميل لأن الإسلام يحرمه، وما إن سُنحت الفرصة لهذا الميل للظهور حتى

استشرى بين أدبائهم، ووُجد له في وحدة الوجود أساساً فكريّاً لتقبله والإقبال عليه، فافتتن شعراً بهم في تأويل المعاني الدينية

الثابتة تأويلات أخرى جتها عن

حضارة قوية الدعائم، ولقد أخفقت ثقافات آسيا، بل ثقافات العالم القديم كله لأنها تناولت الحقيقة بالنظر العقلي ثم اتجهت منه إلى العالم الخارجي، فأمدها هذا المسلك بالتفكير النظري المجرد من القوة، وليس من الممكن أن تقام على النظر المجرد وحده حضارة يكتب لها البقاء.

(نفسه: تجديد التفكير الديني في الإسلام ٢٢)

كما أن (إقبال) ليحذر من مغبة خلط الدين بالفلسفة فالفلسفة لا تصلح بحال لأن تقود المجتمع فضلاً عن قيادة الحياة، ويضرب المثال لذلك بالفكر الفارسي حيث تتصل الفلسفة بالدين اتصالاً وثيقاً حتى إن الاتجاهات الفكرية الجديدة هم أنفسهم مؤسسو حركات دينية جديدة، وإذا رأينا بعد الفتح العربي لفارس فصلاً بين أفكار النزعة الأفلاطونية الحديثة والدين على أيدي المفكرين الأرسطيين المسلمين فإنه ما ليث أن تلاشي، وأعتقد أن السبب في هذا يكمن في أن الدين لا يقبل الفلسفة بحال من الأحوال.

أما الأمر بالنسبة للفلسفة

الإغريقية التي تعد غريبة

عن بلاد فارس فإنها بعد

دخولها يوقت قصير جداً

صارت جزءاً أساساً من

مكونات الفكر الفارسي،

وهذا واضح من

خلال ملاحظة لغة

خطاب الدين

في الفكر



الإسلامية، فالمؤمنون أهل الوفاء، ومن أشهر صفات هذه الأمة وخصائصها المميزة أن يبذل المؤمن نفسه ليعم الخير العالم أجمع، وأن ينطوي على الخير ومعاني الإيثار في أجل صورها وأكرم أهدافها. فالمؤمن يبني نفسه على الخير والصلاح، ويحفظ ذاته من الأضليل والزوال حتى يتفع بها الآخرين، وليس له هم سوى أن يغتنم الباقيات الصالحة من العمل:

أنت في الحرب نشيد من دماء

أنت في السلم رسول للإخاء

إن أهل الحق أرباب الوفاء

ليس سراً لحق عنهم في خفاء

نذروا أنفسهم في كل حين

ليعم الخير كل العالمين

وتأمل قطرة الطل الندى

من دجى الليل إلى فجر الغد

حفظت في الكون ذاتيتها

ثم حلت في الدجى عقدتها

وبنى عنصرها شوق الحياة

واستقرت حيث أحياها الإله

فتح الورد بها أجفانه

وسقى من عطره أغصانه

هكذا المؤمن رمز التضحيات

يتقانى في اقتداء الباقيات

(نفسه: يا أمم الشرق ٢٦)

وهذا لا يتفق مع النظر الفلسفى الصويف.

إن من خصائص الأمة الإسلامية - كما يرى إقبال -

أن ترى الحقيقة القرآنية الروحية متحققة في الواقع

الدنيوي، وبهذا المعنى فإن الروح الطيبة تمثل بكل

ما هو دنيوي، وبهذا تكون الخيرات الدينوية ظاهرة

ظهوراً دينياً.

وقد بين إقبال أن كل ما هو مادي لا تكون له حقيقة

إلا عندما نكشف عن أصله الروحي، وبالتالي،

فليست هناك دنيا دنسة، فالأرض كلها طهور لسجود

المؤمن.

والحقيقة القصوى في القرآن حقيقة روحية، أما

وجودها فيتحقق في نشاطها الدينوى. والروح تجد

فرصتها في الطبيعي والمادى والدينوى، فكل ما هو

ديني أو ظاهر ديني في جذور وجوده، وأعظم

خدمة أداتها التفكير العصري إلى الإسلام - بل

إلى كل الأديان - تمحيص مانسميه مادياً أو طبيعياً

تمحيناً أظهر أن المادى فحسب لا يكون له حقيقة

إلى أن نكشف عن أصلها الروحي، فلaisis ثمة دنيا

دنسة، وكل هذه الكثرة من الكائنات المادية إنما هي

مجال تحقق الروح وجودها فيه، فالكل أرض طهور.

فأقاموا في شمال وجنوب
ثورة الإيمان في كل الشعوب

(نفسه: يا أمم الشرق ٦٠)

إن العرب أقدر الناس على فهم القرآن الكريم وإدراك معانيه ومقداره، وبذلك فهم المقدمون على غيرهم لقيادة المسلمين لقربهم من فهم مضمون الخطاب الإلهي، ولها تتطوّر عليه فطرتهم السليمة من صفاء وبعد عن لوثات الفلسفة، ولذلك ترى (إقبال) يجعل للعرب مكانة خاصة، فهم قلب الإسلام، وإليهم ترنو أبصار المسلمين، فقد حملوا هذا الدين إلى الأمم فنهدوهم إلى خير سبيل.

لكن (إقبال) يوضح بوضوح عن مكانة العرب في الأمة الإسلامية، وبين أن قومية الدين والإسلام إذا كانت تقضي بجناحها أطراف العالم الإسلامي، فإن الأمة العربية هي القلب النابض، والمركز العصبي للناس، ولها القيادة والريادة، ومن أرضها الطاهرة تسطع الشمس المضيئة على المسلمين، وإلى كعبتها وقبلتها وجزيرتها تلهف النفوس، وتلهج الأفيدة، وتتجه القلوب، ونحوها تفتح العيون لترى كل حركاتها، وتشاركها نبضاتها، وتفرح بأفراحها، وتتأسى لأحزانها وتتألم لمصابها.

(الزحيلي، د. محمد: شخصيات إسلامية ٩٢)

وبهذا نرى أن (إقبال) رسم لنا هوية روحية وفكرية للأمة الإسلامية، وجلاً غامض ودقائق قد تمر أمام الكثريين فلا يدركون كوانتها ولا يمكن أن تحويه من النفحات الفكرية والعقدية والروحية، فكان إقبال بهذا حارساً على ثغر من ثغور هويتنا التي تدعوك من يملك معرفة أو يقدر على التأثير في أي موقع من الواقع الإنسانية والحضارية أن يبادر إلى جلاء صورة هويتنا الصافية النقية التي عرفنا بها فوائق بنا الناس، وتبعونا على ما دعوناهم إليه من قيم الإيمان والعدل والحب والتعاون والحرية.

الهوامش :

١) كعب بن زهير: بن أبي سلمى ت ٢٦ هـ - ٦٤٥م)، أتسى النبي ﷺ مستأمناً مسلماً فامنه، فأنشد (بانت سعاد فقلبي اليوم متبول) فعفا عنه النبي ﷺ، وخلع عليه بردته، (الزركلـ خير الدين: الأعلام ٢٢٦/٥).

٢) الحديث بنصه: حبب إلى من دنباكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة - سنن النسائي ٦١/٧

(نفسه: تجديد التفكير الديني في الإسلام ١٧٨) وما يميز الأمة الإسلامية صلاحها لأن تتجدد في كل عصر، فإن لكل دولة سابقة عصر، أما الأمة الإسلامية فلها العصور كلها لأنها تبتعد من الحياة وتصدر عن (إلا إله إلا الله):

ذهب الروم وفض الموكب.

شرقاً أقوى وأقوى المغرب

كأس ساسان من الفم دم

حان يونان خراب مظلم

وعنت مصر لدهر عرم

وثوت أعظمها في الهرم

وأذان الحق فينا خلدا

أمة الإسلام تبقى أبداً

إن للكون من العشق حياء

وبه أجزاءه شدت قواه

أحيت العشق قلوب تسرع

شبهاً من، لا إله، الشر (أشعلها)

(نفسه: ديوان الأسرار والرموز ١١٠).

ويذكر دور العرب في إرساء دعائم الأمة فكانوا خير

أمة أخرجت للناس ما أمرت بالمعروف ونها عن

المنكر وقامت بما أمرت به من الجهاد والدعوة،

ففقد حرروا ذواتهم بالعزم، وحققوا قدرهم في هذا

العالم، وحملوا النور إلى كل مكان فصاروا مهوى

القلوب وكعبة الأفتءة، فما وقفت بوجههم قوة ظالمة

لا كسروها، ولا جبار عنيد إلا قهروه، وذلك بفضل

(إلا إله إلا الله)، حيث جرى الحق على كل لسان

وأذوا الوئمة الشرك عن كل قلب، حتى تعلم منهن

الشعوب جميعاً:

بـ لها ذكرى لأمجاد العرب

آية كبرى، وتاريخ عجب

حرزوا أقدارهم بالعزمات

في جميع الكون من كل الجهات

هازدهى من نورهم كل مكان

وتغنى باسمهم كل زمان

قد أبدوا كل شيطان مرید

وأذوا كل جبار عنيد

وسموا فوق الذراي منزاً

كل هذا كان من أنوار (لا)

أيقظوا الدنيا بتكبير الأذان

فجرى الحق على كل لسان

كل خير يرجى من غرسهم

كل نور يتجلى من شمسهم

قد أزال العرب من لوح القلوب

نقش غير (الله) علام الغيوب



شهد له هنري كيسنجر .. والأعداء قبل الأصدقاء

إبراهيم عبد التواب .. بطل أسطورة (كريت)

كان قد سطّر منذ بداية حرب أكتوبر المجيدة بطولات لا تنسى، حيث كان قد تولى تشكيل كتيبة (٦٠٣) واستكمالها من أفراد ومعدات بنفسه، وحرص على إعداد ضباطه بكل ما يؤهلهم للالتفاف بمهمات مناصبهم، بل كان يقوم بنفسه بإعداد طوابير التدريب التكتيكي حتى يطمئن إلى أن كل فرد قادر على تنفيذ المهام التي يكلفها بكفاءة تامة، وهذا ما انعكس على أرض الواقع حين كلفت كتيبته عند بداية الحرب باقتحام (البحيرات المرّة الصغرى) تحت تعطية من نيران المدفعية والقصف الجوي من الطائرات المصرية، ثم التحرك شرقاً على طريق (الطاولة)، طريق (المرات) لمحاجمة والاستيلاء على المدخل الغربي لمصر (متلا).

«كفنوني بعلم مصر، وسلموا ابني (مني) المصحف والمسبحة».

تلك كانت وصية العقيد إبراهيم عبد التواب لجنوده لحظة أن وطئت قدماه أرض موقعة (كريت) في التاسع من أكتوبر ١٩٧٣، تلك الموقعة التي قال عنها وزير الخارجية الأميركي آنذاك هنري كيسنجر، إنها إحدى المعارك الكبرى التي شرفت العسكرية المصرية ووضعتها في مكانة متميزة بين جيوش العالم .. وكانت أتمنى أن أقابل قائد الكتيبة إبراهيم عبد التواب.

قبل الأسطورة العسكرية التي صاغها الشهيد البطل إبراهيم عبد التواب ورفاقه في (كريت)،

كيسنجر: معركة (كريت) شرفت العسكرية المصرية .. وكانت أتمنى أن أقابل قائد الكتيبة إبراهيم عبد التواب.

المصحف والمسبحة لم يفارقا جيبيه أبداً، فاطلق عليه رفاقه لقب (الشيخ).

قائد الموقع الإسرائيلي الحصين الذي استولى عليه البطل وصفه قائلاً: «لقد كان قائداً أسطورياً».

قاوم حصاراً فرضه العدو طيلة ١٣٤ يوماً، وكان يتنازل عن طعامه وشرابه لرفاقه الأقل تحملًا للتقطش.

بعد الاستيلاء على الموقع أشار إلى مكان داخله وقال سأستشهد وأدفن هنا، وشاءت القدر أن يدفن في المكان ذاته.

الدخان يتتصاعد من الموقع طوال اليوم، وقبل أن تغيب الشمس تبدأ قوات العدو المدرعة في الهجوم من كل الاتجاهات في محاولة للاستيلاء على الموقع ظناً منهم أن كل ما فيه قد دمر، ولكن فجأة تنسق الأرض عن أبطال الكتيبة لتنهر نيرانهم على مركبات العدو ومدرعاته فتقر هاربة، وأذكر أن إحدى الدبابات تقدمت مسافة قريبة وكان في مواجهتها اثنان من أفراد الكتيبة استشهد أحدهما ونفذت الذخيرة من الآخر فخرج من موقعه صائحاً (الله أكبر) ولم يكن معه طلقة واحدة، واندفع باتجاه الدبابة فظن من فيها أنه يحمل الغام وسيفجرها، فخرجوا منها رافعي الأيدي وتم أسرهم.

البطل الشيخ

مع تنالى أيام الحصار كان معدن البطل القائد يتجلى أكثر فأكثر، فقد كان أقل رجاله استهلاكاً للطعام والشراب، بل كان يتنازل عنهما لمن يرى عدم قدرته على تحمل حالة التفتش، ورغم حالة الإعياء التي بدأت آثارها تظهر عليه في أواخر أيام الحصار نتيجة قلة الطعام والمجهود الرهيب الذي كان يبذله، فقد حرص على أن يصلى برجاله كل الفرائض في مواعيدها، ولم يكن ذلك بغرير عليه لأن كل رفقاء، ومنذ درساته في الكلية الحربية وتخرجه فيها عام ١٩٥٦، عرفوا فيه مواظبيته على الصلاة وقراءة القرآن بحيث لم يكن المصحف والمسبحة يفارقان جيبيه أبداً، وهو ما حدا برفاقه إلى أن يطلقوا عليه لقب (الشيخ).

العميد سعد الدين أنور، وكان ملازماً في كتيبة البطل عبدالتواب، كشف عن أن القائد طلب من الرائد خليل عصمت بدر الدين، وكان يشغل وظيفة رئيس الشؤون الإدارية، علماً لمصر له شخصياً، خلاف العلم الذي تسلمه من القيادة، وبعد الاستيلاء على الموقع ورفع علم مصر عليه قال القائد إن العلم الآخر لي لأنني سأشهد وألف فيه وأدفن هنا، وأشار إلى مكان داخل الموقع، بعد ذلك وبتاريخ ١٩٧٤/١/١٤ كان البطل يواجه إحدى غارات العدو، فسقطت قذيفة غادرت إلى جواره فأصابته في مقتل ليستشهد - رحمة الله - بين رجاله، وتنشأ الأقدار أن يدفن في المكان نفسه الذي أشار إليه.

في لقاء بعد انتهاء العمليات بين من تولى قيادة الكتيبة، وصف سيناريyo العمليات ضد الموقع فقال: «كان اليوم يبدأ بطلعات جوية للطيران المعادي تلهم الأرض بقصد مكثف وبمختلف أنواع القذائف، وتأتي بعد ذلك المدفعية التي تهطل الموقع بكل أنواع الأعيرة النارية التي كانت كثافتها تحيل تربة الموقع الصفراء إلى اللون الأسود، وكان

فيه باقي وحدات الكتيبة بعملية عزل وحصار من جميع الجهات لمنع تدخل قوات العدو الاحتياطية. في البداية أوكل القائد للملازم أول عبدالرازق شامة مهمة التخلص من أعمدة تليفون سكة الحديد المواجهة للنقطة، والتي كانت تعيق حركة الصواريخ المضادة للدبابات، فقام الملازم (شامة) بأسلحة صغيرة وعبوات ناسفة، وبعد قليل من الأفراد، بمهمة انتشارية وتمكن من تفجير (١٥) عاصموداً، وفي أثناء ذلك اكتشف نقطة ملاحظة للعدو كانت توجه قذائف دباباته، فاقترب منها وقت أحد أفرادها قبل أن يفر الآخرون واستولى على رشاشين وبعض الوثائق والصور الجوية.

وتزامناً مع ذلك شن البطل هجومه على النقطة بقوّة وشراسة، ورغم قصف طيران العدو، واحتياط وحداته المدرعة في قتال ضار مع كتيبة البطل على بعد ثلاثة كيلومترات من النقطة، إلا أن قوات العدو سرعان ما انهارت أمام عزم واصرار البطل ورفاقه، وانسحبت متذعورة إلى خلف «الباب» القريبة، لكن رجال الكتيبة انطلقوا خلف ونجحوا في تدمير الدبابات عن آخرها، وتمكنوا من اقتحام النقطة وتطهيرها، وتقطيش جميع الدشم والملاجن، ثم .. رفعوا علم مصر عالياً فوق الموقع.

حصار ١٣٤ يوماً

بعد ذلك بذلت قوات العدو محاولات مستمرة ومتكررة لاستعادة السيطرة على الموقع، حتى إن الهجمات الجوية كانت تستمر لساعات متواصلة ويقتابل بلغت ذنة الواحدة ألف رطل، ناهيك عن هجمات الدبابات والمشاة، لكن كل ذلك لم يسفر عن شيء، وظل الموقع صامداً، بفضل القيادة الحكيمية للبطل عبدالتواب وجنوده، وأمام ذلك لم يجد العدو بدا من فرض الحصار حول النقطة لعزل الكتيبة عن الجيش المصري ومنع الإمداد عنها، ولقد استمر هذا الحصار بالفعل مدة (١٣٤) يوماً نسج القائد وأفراد كتيبته خلالها ملاحم غير مسبوقة، حيث اجتمع البطل برجاله منذ اليوم الأول للحصار، وأوضح لهم موقف الكتيبة، والإجراءات الواجب اتباعها، وتعاهد الجميع على عدم التفريط بالموقع حتى آخر طلقة وآخر نفس يتردد في الصدور.

العميد صبري هيكل الذي كان ملازماً أول في الكتيبة، وصف سيناريyo العمليات ضد الموقع فقال: «كان اليوم يبدأ بطلعات جوية للطيران المعادي تلهم الأرض بقصد مكثف وبمختلف أنواع القذائف، وتأتي بعد ذلك المدفعية التي تهطل الموقع بكل أنواع الأعيرة النارية التي كانت كثافتها تحيل تربة الموقع الصفراء إلى اللون الأسود، وكان

في الوقت المحدد، ووفق الخطة التي أعدها البطل عبدالتواب انطلقت الكتيبة وسط صيحات (الله أكبر) لاقتحام (البحيرات المرة الصغرى) بنجاح تام، وفي فترة زمنية قصيرة، ثم تخططاها إلى البر الشرقي للبحيرات، وتبدأ تنفيذ الشق الثاني من المهمة وهو السيطرة على ممر (متلا)، وهو ما حدث بالفعل رغم العقبات التي واجهت الكتيبة وشراسة العدو المصابة بالذهول لرؤيته المقاتلين المصريين وقد تحولوا إلى أسود مرعبة، على العكس من الفكرة التي رسخها قادة إسرائيل في أذهان جنودهم من أنهم مقاتلون لا يقهرون في حين إن المقاتلين العرب بدائيون تنقصهم الخبرة والحنكة، وهو ما دحضته أجواء المعركة حين اصطدم العدو بمقاتلين لا يعرفون الهزيمة، مما اضطر مدرعاته ودباباته إلى الفرار أمام إصرار البطل إبراهيم عبدالتواب ورفاقه على النصر، فكانت الحصيلة خسائر هائلة في الأرواح والمعدات في صفوف العدو الإسرائيلي.

معركة كبريت

في تلك الأثناء وصلت معلومات للقيادة العامة للقوات المسلحة تفيد بأن العدو بدأ في تجميع قواته نحو نقطة الحصينة في (كبريت)، للاستناد إليها في القيام بعملية اختراق عميق للقوات المصرية، حيث لم تكن تلك النقطة قد سقطت في العبور الأول للقوات المصرية، ولما كان البطل عبدالتواب وكتيبته قد أبلوا بلاء حسناً في المهام التي أوكلت لهم حتى تلك الفترة، كلفوا باقتحام تلك النقطة، والاستيلاء عليها خصوصاً وأن أفراد الكتيبة كلهم من رجال الصاعقة.

لم تكن المهمة سهلة على الإطلاق، لأن تلك النقطة الحصينة كانت ضمن خط (بارليف)، وكانت ذات أهمية خاصة لأنها تقع في الجزء الفاصل بين الجيشين المصري: الثاني والثالث، وتلتقي عندها جميع المحاور الطولية والعرضية، وتقع في أضيق فاصل بين البحيرات المرة الكبرى والصغرى، ولا تتعدى المسافة بين الشاطئين: الشرقي والغربي في هذا الموقع الـ ٥٠٠ متر ويتوسط تلك المسافة جزيرة تجعل من هذا الموقع أقرب مكان يقوم من خلاله العدو بالاختراق السريع وصولاً إلى مدينة السويس لتطويق الجيش الثالث.

درس القائد عبدالتواب الموقع بدقة، ثم وضع خطته للهجوم ووزع المهام على أفراد الكتيبة، مع إدراكه التام بصعوبة تخلي العدو عن هذه النقطة التي كانت ممراً لإحدى قياداته الفرعية، ولذلك اعتمد في خطته على استغلال نيران المدفعية والدبابات لاقتحام النقطة من اتجاهي الشرق والجنوب بقوة سرية مشاة، في الوقت الذي تقوم

صراع الماضي والحاضر في رواية «أسنان بيضاء»

معركة الهوية تحت وط

الجديد، بينما هي بالنسبة للجيل الثاني المولود في بريطانيا معركة حول إيجاد أرض مشتركة بين وطن آبائهم و«وطنهما» هم. وهذه الفكرة الأخيرة (وطن ... هم) هي بعد ذاتها فكرة إشكالية بالغة التعقيد. ولكن على رغم أن معضلات كلاً الجيلين تدور في إطار موضوعة عدم قابلية الإفلات من قبضة التاريخ، إلا أن ما تستكشفه الكاتبة بالعلاقة مع قبضة التاريخ التي تباطئ الوضعيّة هو هوبيات الجيل الثاني، وتحديدًا هوية «إري جون» و«ميلات إقبال».

مواجهة

تقدم «إري» إلى القارئ منذ البداية عبر مظهرها الجسدي كوارثة لبنيّة «جدتها الجاميكية المثلثة بالأناناس والمانجو والجواوة.. والأسنان الكبيرة». وبعيداً عن كون هذا الوصف يتضمن سخرية واضحة من جسد «إري» الضخم، يمكن النظر إليه بوصفه مجازاً يصف إحساس «إري» بالهوية. وبتحديد أكثر، ميراث هذه الهوية من تاريخ معين هو تاريخ جامايكا الذي يرمز له بالجنة الجاميكية الضخمة، وباستخدام فواكه جامايكا

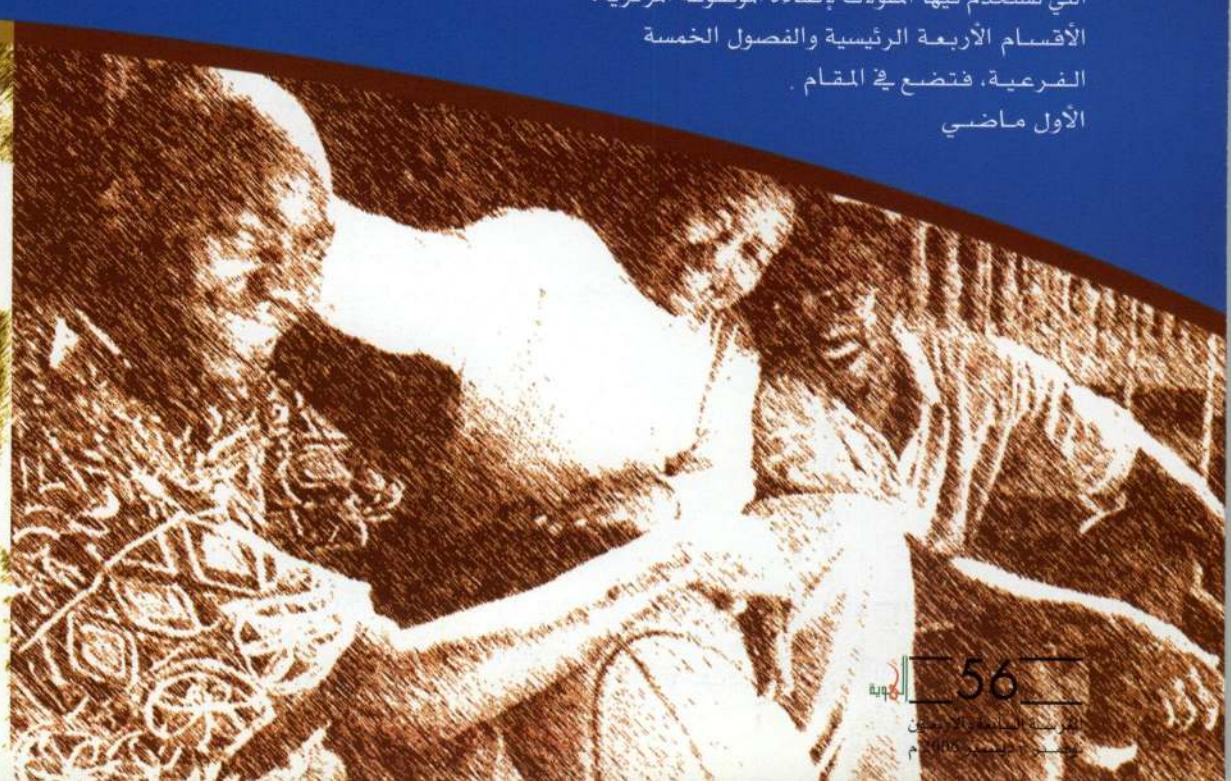
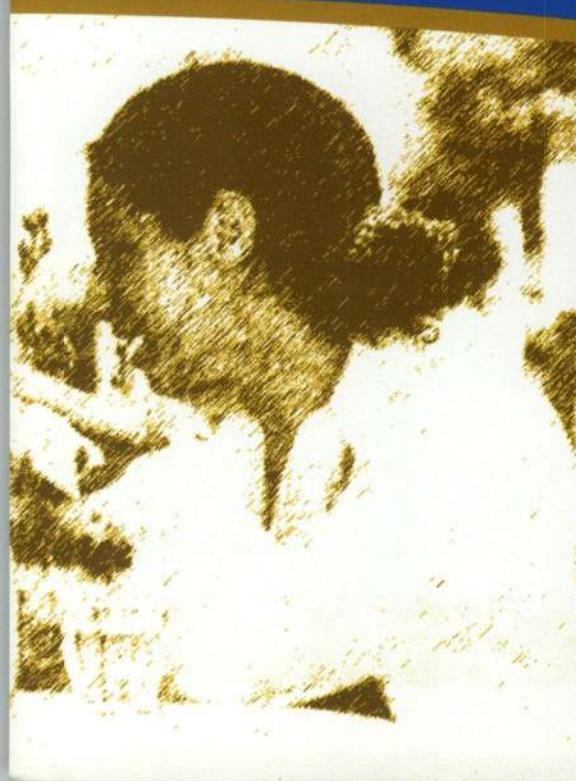
الشخصيات، ثم تضع حاضرها في المقام الثاني، ويأتي مستقبلهم في المقام الثالث، مشددة على أهمية تسلسل الأحداث هذا. ويضيف اختيار «سميث» استخدام أصول الكلمات وجذورها في عنوان الفصول، المزيد من التركيز الجوهرى على «تاريخ» و«جذور» شخصيات الجيل الأول من المهاجرين التي تقص حكاياتها. ولهذا تصبح بنية الرواية بما قامت عليه (مقولات التصدير وتقسيم الفصول إلى رئيسية وفرعية وعنوانها ذات العلاقة بقبضة التاريخ التي لا مهرّب منها) امتداداً منطقياً طبيعياً ما تقصه الرواية.

ويقود هذا إلى ملاحظة أن أي شخصية من شخصيات الرواية لم تكن متحررة من «الخلط الذي لا ينتهي بين غرف الحاضر والماضي، وبين الأشياء التي قيلت فيها قبل سنوات، وبين ما ألصقه كل شخص من بصمات قديمة في أرجاء المكان». فالجيل الأول من المهاجرين تستهلكه معركة يومية بين «ما كان عليه وما سيصير إليه»، بينما تستهلك شخصيات الجيل الثاني المولودة في بريطانيا معركة يومية بين «من هم وما هم بسبيلهم إلى أن يكونوه». ويصبح الأمر بالنسبة لشخصيات الجيل الأول معركة تدور حول العثور على أرض مشتركة بين الوطن والبلد

تقض روایة «أسنان بيضاء» للكاتبة «زادي سميث» حكاية ماضي عائلتين وحاضرهما ومستقبلهما، وتقع أحدهما في شمال غربي لندن خلال الثمانينيات: عائلة «جون» المؤلفة من أبي إنجلزي وأم من جامايكا وابنتهما بإنجليزية، وعائلة «إقبال» المؤلفة من زوجين بنيغاليين وتوأميهما المولودين في بريطانيا. وتظهر، بالإضافة إلى هذا، عائلة «ثالثة» في الرواية لاحقاً، تلك هي عائلة «تشالفن» البريطانية مولداً ونشأة، والتي يشكل أفرادها الجيل الثالث من مهاجرين من ألمانيا وبولندا.

ويفتديها لهذا المزيج من العائلات والشخصيات، الذي هو نتاج قرن من تجربة هجرة كبرى لغرباء صفر وسمري وبيض، تستخدم «سميث» مقوله «وليم شكسبيه» (الماضي ليس سوى مقدمة) كافتتاحية يدخل منها القارئ إلى واحدة من الموضوعات الأساسية التي تستبطن الرواية: أن لا مهرّب من التاريخ.

إضافة إلى هذه المقوله، تستخدم الكاتبة أربع مقولات متعددة في صدر كل قسم من أقسام الرواية الرئيسية، وكلها تسلط الضوء بطريقة أو بأخرى على قبضة الماضي الباطنة التي تمسك بالحاضر. وتبني بالطريقة نفسها، التي تستخدم فيها المقولات لإضفاء الموضوعة المركزية، الأقسام الأربع الرئيسية والفحول الخمسة الفرعية، فتوضع في المقام الأول ماضي



أة تاريخ لا مهرب منه!

طقم أسنان والدتها الصناعي الذي أخفى أمره عنها طيلة كل هذه السنوات. ورغم ما يبدو من ضالة أهمية هذا الاكتشاف، إلا أن سر طقم الأسنان يضرب عصباً حساساً لديها ذا علاقة بمحاولتها اكتشاف تاريخ عائلتها كي تحدد على أساسه هويتها الراهنة: «كانت هذه العائلات ممثلة بالمعلومات التي تود معرفتها ولكنها خشيت الاستماع. لقد كانت ممروضة بفكرة أنها لن تحصل على الحقيقة كلها... كانت تقتنش في الرماد».

ولم تفعل عودتها إلى الرماد، أي إلى البيت «هورنتس» جنوبي لندن، شيئاً سوى أنها جعلتها أكثر قرباً من فراغ الماضي حين أصرت جدتها على «أنك تعرفي كل ما أنت بحاجة إليه، لقد مضى الماضي ولا أحد يتعلم منه شيئاً». بينما ظلت خالله إقامة «إري» في البيت تطلق، وهنا المفارقة، تلميحات وإشارات ملقطة كيما اتفق إلى ماضٍ أسود ومبهم مرتبطة ارتباطاً لا مهرب منه بالحاضر الراهن.

في نهاية المطاف تجد «إري» نفسها في مواجهة عباء تاريخها المجهول، وتثيره على إحساسها بهويتها غير المحددة. حين تشكو وتخبر «جون» و«إقبال» برغبتها أن تكون مثل الناس الآخرين الذين «يفتحون باباً فيجدون خلفه حماماً أو ردهة، مجرد مساحات محاذية.. لا علیات، لا تراباً في العلیات. لا هيكل عظمية في الخزان». ولم تستطع «إري» قبول تاريخها

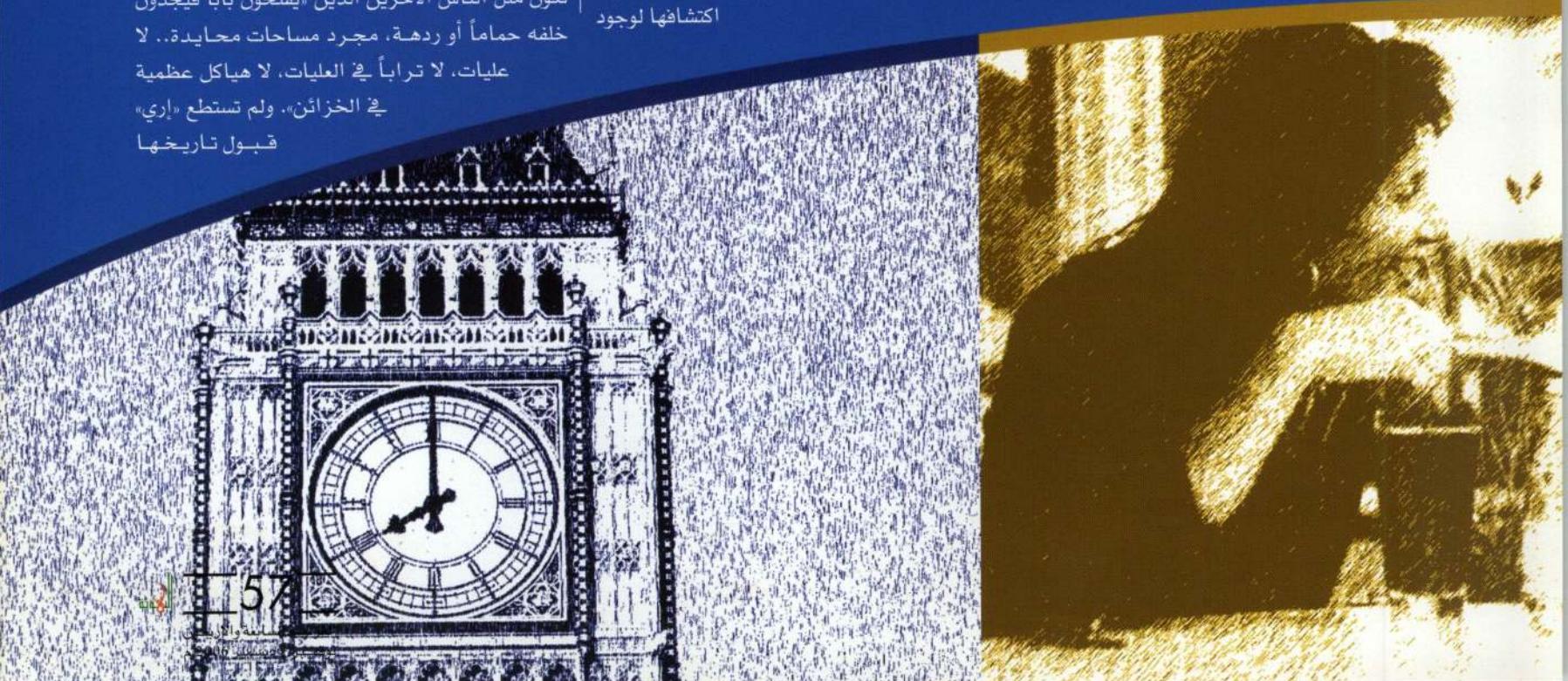
من جانب آخر، يمكن النظر أيضاً إلى العلاقة بين هوية «إري» الجسدية وبين إحساسها بالهوية في ما هو أبعد من العلاقة الرمزية التي تتضمنها في كونها علاقة موضوعية واضحة المعالم. والسبب في هذا هو أن هوية «إري» الجسدية هي المظهر الوحيد المؤكّد لماضي جدتها الذي يقف وراءه التاريخ ويحركه، بينما ظل بعيداً عنها كل جانب آخر من جوانب هذا الماضي.

ومن هنا حين تنظر إلى شجرة عائلة «تشالفن» تغيرها الطريقة التي عرف بوسائلها أفراد هذه العائلة ماذا كانوا عليه ومن هم في العام 1675، لأن كل ما تملكه «إري» من معلومات محددة عن شجرة عائلتها (وبالتالي عن هويتها) هو أن والدها، وبمعزل عن مظهرها الجسدي: «لم يعد قادرًا على إعطاء سجل لعائلته أطول من وصف لظهور والده بالصدفة على سطح الكرة الأرضية... ويعتمد الأمر على أي صاحب مشرب يتحدث إليه». وأن جدتها «ولدت في الساعة الثالثة إلا رباعاً في الرابع عشر من يناير من العام 1907 في كنيسة كاثوليكية أثناء زلزال كنتجستون... وما تبقى إشاعات وحكايات وأساطير».

في وصفه أيضاً. وحين ينظر إلى هذا الرمز بالعلاقة مع العبارة الواردة في مفتاح هذا الفصل من الرواية، والمستعارة من الكاتب «فلاديمير نابوكوف» (وقد وردت في الأصل بحروف مميزة): «في هذا العالم المصنوع من حديد من الذي يتشابك فيه السبب والنتيجة، X انجليزي».

وهكذا، ومن خلال ربط هوية «إري» الجسدية بتاريخ أوسع، ترسم «سمث» معركة «إري» مع هويتها الجسدية التي لا فكاك منها كمجاز لحركتها مع إحساس بالهوية محركة التاريخ. ولهذا حين تحاول «إري» محو كل دليل على أن لها «شعر رأس يشبه عش طائر» تكون هذه المحاولة غير مجدية طالما أن قصدها إحداث تغيير ودخول معركة مع جيناتها. ولن يكون حدوث الكارثة التي تنشأ عن هذا مجرد مصادفة، لأنها تقول بوضوح إن للتاريخ قبضة على هوية «إري» لا يمكن الإفلات منها، وإن محاولة وضع قناع على وجه الماضي، أو الهرب منه بتمليس شعرها تبرهن على طابعها الكارثي، لأنها تحاول من حيث الجوهر مقاومة مصيرها الذي يدفع إليها الماضي.

وتأتي لحظة التنوير إلى «إري» مع اكتشافها لوجود



المجهول بكل ما يتضمنه من علاقة بإحساسها بالهوية إلا حين أقامت علاقات مع توأم عائلة «إقبال»: «وأصبحت تؤمن الآن أن هناك أشياء لا تستطيع عين الإنسان رؤيتها، ولا حتى عبر مجرها، تحمل منها مالاً قبل لها به، وتطلب منها أن تعود إلى الوراء، فالوراء ثم الوراء وصولاً إلى لحظة الأصل.. إنها تتطلع الآن إلى الأمام».

في اللامكان

ويكافح «ميلات»، شأنه في ذلك شأن «إري»، وهو من الجيل البنغالي الثاني المولود في بريطانيا، في سبيل تشكيل هوية له، ويرتبط بعثه، مثلما يرتبط بعث «إري»، ارتباطاً لا انفصام له بقبضة التاريخ أيضاً. وفي النتيجة، يكافح «ميلات» في منطقة تقع بين الماضي والحاضر، رغم أن كفاحه يتخذ مظهراً مختلفاً اختلافاً تاماً عن مظاهر كفاح «إري».

ويقع الاختلاف الأساسي في أن محاولة «إري» للتلاويم مع قبضة التاريخ تدفعها نحو العودة إلى جدتها، بينما محاولة «ميلات» للعودة إلى الأصول أو القاعدة تدفعه نحو جذر القضية. وتمثل هذه العودة في انضمامه إلى جماعة تدعى «حماية أمة الإسلام الخالدة والمنتصرة». ويوضح هذا الانضمام أفضل توضيح شاهد يتصدر أحد فصول الرواية مأخذ من كتاب لـ «نورماتيت»: «استلة امتحان رياضة الكريكيت، أي فريق يشجعون؟ أما زلت تتطلع إلى الوراء، إلى المكان الذي جئت منه أم إلى المكان الذي تقف فيه؟».

ومن هنا فإن أفضل وصف لصراع «ميلات» مع إحساسه بالهوية تحت وطأة التاريخ الذي لا مهرب منه، هو أنه محاولة، ليس للهرب من النظر إلى المكان الذي جاء منه، ولا للهرب من المكان الذي هو فيه، بل هو للتلاويم مع كونه «عالقاً بين صخرة وأرض صلبة».

ويحمل تصوير «سميث» لمعضلة «ميلات»، في صراعه لصياغة إحساس بالهوية بالتزامن مع كونه عالقاً في مكان لا هو بالماضي ولا الحاضر، مفارقة حادة. فيعد أن يقرأ آخر كراس من منشورات جماعته، وعنوانه «حول نساء الغرب»، يقطع علاقته بصداقته الدائمة لأنها كانت حبه، ويجب أن يبقى حبه له وحده.. مغطى في قلعة عالية. ومع ذلك، وهنا المفارقة، «يواصل القيام بزيارات بين فترة وأخرى لفتاة صغيرة ذات شعر أحمر». لقد نظر «ميلات» إلى معضلته على أنها ناشئة عن محاولة التوأم مع رغبته الدائمة في أن يكون «أحد أعضاء عصابات الشوارع» وأن يتبنى في الوقت نفسه هوية جديدة يقنع فيها نفسه أنه أراد دائماً أن يكون «مسلمًا». وسيكون لإدراكه الذاتي لنفسه الذي لا يلمس إلا السطح، عواقب أعمق بالعلاقة مع إحساسه بالهوية وصلتها التي لا تنقص بالتأريخ.

علاوة على هذا، يضيف رقص «ساماد» (والد ميلات)

لابنه بسبب تطرفه المزدوج من الارتكاب إليه وتشويش ذهنه، مع أن الوالد من جانبه يفشل في إدراك أن «ميلات» هو ما أراد أن يكون دائماً، أي «الولد المسلم الطيب» وإن يكن في نسخة مختلفة سببها أنه عالق بين الماضي والحاضر.

سخط الوالد الذي يرغب في الحقيقة أن يكون له ولد مسلم طيب مصدره محاولة «ميلات» تعريف نفسه انطلاقاً من تفسيره المتطرف للماضي، وهو ما يضيف تشوشها آخر إلى معضلة ولده بما يعنيه هذا من أن «ميلات» لم يعد في الحقيقة إلى الجذور «الصحيحة».

وتتبلور رؤية «ميلات» حين يدرك عشية ليلة رأس السنة الجديدة، وأمام تمثال هافلوك في ساحة الطرف الآخر: «تاريخنا الطويل.. الطويل (كخاضعين للاستعمار) وتاريخهم (كمستعمرين). إنه هنا لوضع حد لهذا التاريخ... للانتقام له... لتفجيره». ويصل تشوشها، أو بتحديد أكثر، محاولته صياغة هويته على أساس إحساس ملموس بتاريخه، أولاً عبر الجماعة، وثانياً عبر أفكاره عن الجولة الثانية مع الإنجليز، إلى نقطة الصدام الكامل مع حاضره حين يحاول إطلاق الرصاص على «ماركوس تفالفن»، متشبها بواحد من أجداده الذين قاتلوا الاستعمار البريطاني.

وهكذا فإن مأزق «ميلات» بين الماضي والحاضر، على خلاف مأزق «إري»، يظل بلا حل، ويسلط الضوء بشدة على كم هي قاسية قبضة التاريخ على إحساسه بالهوية.

إن المشترك بين شخصيتي «إري» و«ميلات» على رغم الاختلاف التام بينهما هو محاولة كل واحد منها تشكيل إحساس بالهوية وهو تحت السيطرة الكاملة لماضٍ لا يمكن الهرب منه. وهكذا، في الوقت الذي تقبل فيه «إري» كونها غير قادرة على العودة أو اكتشاف جذورها، وتتوقع أن يأتي وقت لا تعود فيه للماضي أهمية، تصاب هوية «ميلات» بالتشوش بسبب خياراته التي يتخذها، وتنتهي بخيار أن يأخذ الأمور بيديه ليؤكد هويته على رغم أنها تظل عالقة بين الماضي الضاغط والحاضر الأشد ضغطاً.

ولدت زادي سميث في شمال غربي لندن في العام 1975، ومازالت تقيم هناك. لها من الروايات: «عن الجمال»، و«رجل الأتوغراف». فازت روایتها الأولى «أسنان بيضاء» بثلاث جوائز الأولى جائزة ويترييد لأول كتاب، وجائزة بلاك التذكارية، وجائزة كتاب الكوميونولث لأول مؤلف.

بِ ارْجُسِ الْشَّدَّادِ كَوْيَتٌ ..

غيرة أنت الـيـوم عن عـيـني رـمـيت
وـانـتبـهـتـاـلـاـنـ وـالـنـفـسـ حـمـيـتـ
كـلـماـاـلـيـامـ نـادـقـنـيـ إـلـىـ
غـيرـهـاـ..ـنـادـانـيـ قـلـبـيـ فـاهـتـدـيـتـ
لـمـ أـزـلـ أـشـتـاقـ لـمـيـ شـعـثـيـ
وـامـسـحـيـ الـأـكـدـارـ وـانـسـيـ ماـ اـدـعـيـتـ
تـبـتـ وـالـلـهـ وـحـبـيـ خـالـصـ
يـاـعـرـوـسـ الشـعـرـ بـالـشـوـقـ أـتـيـتـ
كـلـ حـرـفـ،ـشـعـرـرـمـثـةـ
كـلـ بـحـرـ،ـكـلـ وـزـنـ،ـكـلـ بـيـتـ
لـاـ تـسـلـنـيـ إـنـهـاـ حـبـيـ الـذـيـ
إـنـ أـتـتـ بـالـحـبـ وـالـلـهـ وـفـيـتـ
أـوـأـتـتـ فـيـ خـاطـرـيـ أوـلـحـتـ
أـوـتـرـاءـتـ فـيـ الـتـامـاتـ وـعـيـتـ
كـيـفـ بـيـ أـشـتـاقـ عـيـنـيـكـ إـذـاـ
لـنـيـ الـقـرـبـ،ـأـوـقـلـبـيـ وـقـيـتـ
قـرـبـهـاـ بـعـدـ،ـوـبـعـدـ قـرـبـهـاـ
وـالـهـوـىـ طـيـرـوـبـسـتـانـ وـبـيـتـ
هـلـ وـفـاءـ الـقـلـبـ يـكـفـيـ أـهـلـهـ
أـمـ دـوـاءـ الـقـلـبـ،ـإـنـ قـلـبـيـ كـوـيـتـ؟ـ؟ـ
فـاسـتـجـابـ الـعـقـلـ وـالـقـلـبـ أـبـىـ
وـاشـتـكـتـنـيـ مـقـلـتـيـ حـتـىـ بـكـيـتـ؟ـ
قـالـتـ الـأـنـفـاسـ خـلـيـ مـهـجـتـيـ
قـدـرـيـحـتـ الـشـوـقـ وـالـجـسـمـ رـقـيـتـ
فـاهـتـدـيـ الـقـلـبـ إـلـىـ مـنـ ضـمـهـ
وـاسـتـرـاحـ الـطـرـفـ،ـوـالـفـكـرـبـنـيـتـ
فـزـتـ فـيـ قـلـبـيـ وـطـرـفـ سـابـعـ
ضـمـتـ الـأـشـ وـاقـ فـيـ قـلـبـيـ الـكـوـيـتـ



بـمـاتـ